دار شجن الحروف الأدبية للنشر والتوزيع

إلى البتول...

رســـائل

خالد حميدة

إلى البتول...

رسائل

تأليف: خالد حميدة

تدقيق نحوي وإملائي: سائد محمود الحموي

الإهداء:

إليك أنتِ اهدي حروفي هذه وذلك محاولة مني لسبر أغوار الحب العظيم الذي لفّ قلبينا في لحظة بَسَمَ فيها القدر لنا وما لنا إلا سُبُلَ الفرح والحبور فطوبى لي بكِ وحُسن مآب يا بتولي

يا بتول الطهر والعفاف.

عزيزتي بتول

أوّلُ ما أبدأُ به رسالتي هو تحيةٌ لكِ في الصباحِ وفي المساء وفي أيِّ وقتٍ تشائين، وبعدُ فإنّي ظللْتُ متفكّراً فيما يجبُ عليّ فعلَهُ إزاءَ يومِ الاثنينِ الواقعِ في اليومِ الرابعَ عشرَ من الشهرِ الأوّلِ للعامِ ثلاثةَ عشرَ وألفين، وهو يومٌ تاريخيٌّ بالنسبةِ لي، وأحسبُهُ لكِ كذلكَ فلم أجدْ بدّاً من تسطيرِ عمّا يجولُ بداخلي من آمالٍ ومشاعرَ على ورقةٍ بيضاءَ، وتقديمها لكِ لتقرئِيها أنتِ وأنتِ فقط.

عزيزتي بتولُ

سبحانَ الله

منذُ أنْ كنتُ في عُمرِ الأحدَ عشرَ سنةً، بدأ اسمُكِ يطوفُ في رأسي ولا أعرفُ كيفَ، وراحَ حبُّ هذا الاسمِ يكبرُ كلّما كبُرْتُ لدرجةِ أنّي كنتُ قد أسميتُ بندقيّتي – خلالَ فترةِ صداقتي معها – بهذا الاسمِ وتمّتِ الفرحةُ الكُبرى حينَ عرفتُ أنّكِ تحملينَ نفسَ الاسمِ.

هل تُراني أحببْتُ هذا الاسمَ لأنكِ تحمليَنَهُ أمّ أنّي أحببْتُ هذا الاسمَ لأجلكِ

عزيزتي بتولُ

سأبقى أذكرُ ذلكَ اليومَ ما حييْتُ عندما دخلْتِ لتقديمِ القهوةِ، وكان قد غلبَكِ الحياءُ وأعترفُ أنَّ الحياءَ راودَني عن نفسي قليلاً فطردْتُهُ بأنّي وجّهْتُ لكِ ذلكَ السؤالَ بشأنِ الدراسةِ، وما كانَ هذا السؤالُ سوى طرداً للحياءِ، لكنْ لا بأسَ فإنّي أرى الحياء تاجٌ مرصّعٌ بأجودِ الجواهرِ، وأثمنِ الدّررِ موضوعٌ فوقَ رأسِ كلِّ فتاةٍ تتحلَّى بهِ، وأنتِ في تلكَ اللحظةِ كنتِ الحياءَ بذاتِهِ، وبالتالي صرتِ أثمنَ الجواهرِ وأحلى الدّررِ.

عزيزتي بتولُ

سأحدّثُكِ أيضاً عن ذلك اليومِ الشتوي – يومَ الثلاثاءِ – عندما نزلْنا لنبتاعَ قطعَ الحُليِّ لأجلِكِ ولأجلي فكنْتِ غيرَ كلِّ الفتياتِ وكفى.

شعورٌ غامضٌ غريب ممتعٌ غزاني حينَ اجتمعَ رأيُنا على ذلك الخاتَمِ، وزادَ الشعورُ عندما أشرْنا معاً إلى ذلكَ العقدِ لكنْ للأسفِ ما كانَتْ قسمتُنا بهِ، وأمضيْتُ بقيةَ اليومِ وأنا أستمتعُ بذلكَ الشعورِ.

عزيزتي بتولُ

قد تَعجبين من كتابتي لكِ منذ أوَّلِ لقاءٍ رسميٍّ لنا، ولكنْ ليسَ لي عهدٌ بالفتياتِ وأطباعِهنَّ وأشهِدُ اللهَ على ذلكَ، وإنّي لأجدُ حريَةً أكبرَ في الكتابةِ أكثرَ من التكلُّمِ ذلك أنّي أتعرَّضُ لنوباتٍ كثيرةٍ من الارتباكِ أمامَ جمالٍ رائعٍ.

عزيزتي بتولُ

آخرَ شيءٍ أودُّ أنْ أقولَهُ إنّي لا أحبُّ النفاقَ أبدا أبداً ويؤنّبُني ضميري إنْ لم أُعطِ لكلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ، إن مديح أو دونَهُ وأكثرُ شيءٍ يثيرُ استيائي هو الرياءُ.

وفي النهايةِ أتمنّى لكِ ولأهلِكِ الكرامِ دوامَ الصحَّةِ والسعادةِ والهناءِ، وإنّي لأرجو الله عزّ وجلَّ أنْ يُبعِدَ عنكِ وعنهُمْ كلَّ أذى ودمْتُم بحفظِ الله ورعايتِهِ.

17/1/2013

منْ أينَ أبدأُ؟ وكيفَ أبدأُ؟ لكنْ أولاً لا بُدَّ لي من الالتزامِ دوماً بالتقاليدِ، وبذلكَ يتوجَّبُ عليّ إلقاءَ السلامِ عليكِ، لكنَّهُ ليسَ مجرَّدُ سلامٍ عاديٍّ، بل إنَّه لَيحمِلُ أحلى الأحلامِ وأبهى المُنى بكِ وأيضاً معكِ.

ها قد بدأَتْ أزهارُ حبّنا الفتي تتفتَّحُ، وثغورُها باسمةٌ يعبَقُ منها الأملُ والتفاؤلُ، وتفوحُ منها رائحةُ الآمالِ -وأرجو ألا تكونَ الآلامُ أيضاً- ولكنْ نحنُ مَن نصنعُ الفرحَ، ونحنُ أيضاً نجلِبُ الهَمَّ والحَزَنْ، ذلكَ أنَّ الإنسانَ أصلُ الحياةِ ومُنتهاها.

يا حُلوتي...

ربَّما تعمّقْتُ في فلسفةٍ ليسَ مكانُها هُنا، لكنَّ هذا طبعي وكما تعرفينَ بحسبِ المثلِ الشعبيِّ "اللي فيو طبيعة ما ببيعا" وأعودُ لتذكُرِ هذا الحوارِ الذي جمعَنا عصرَ اليومِ.

كم كانَ ممتعاً...؟

كم كانَ لذيذاً...؟

كم كان نقياً...؟

كانَ رائعاً ما بعدَهُ روعةٌ.

وعشيّةَ يومِ الأحدِ حاولْتُ استحضارَ كلَّ أغاني الحبّ وكافّة قصائدِهِ، إلا أنَّ جميعَها عَجِزَتْ أن توازيَ أحاسيسي واختلاجاتي.

الآنَ سأبدأُ بمشاركَتكِ هُمومي وأنا أعرفُ مُسبقاً ألا أحدَ تخلو حياتُهُ من الهمومِ، ولذلكَ سأطرحُ هُمومي أمامَكِ لعلّكِ تقومينَ بإزالتِها، وأتمنَّى فعلاً أن تشاركيني همومَكِ، أوّلُ وأعظمُ همٍّ متمثلٌ بعبادتي التي لا أستطيعُ التمسُّكَ بها، وأمضي أيامي تارةً أحاربُ إبليسَ وتارةً أنضوي تحتَ لوائِهِ وبينَ هذا وذاك أتخبّطُ.

لكِ كاملُ ودّي

وخالصُ حبّي

وأتمنى لكِ دوامَ الصحةِ والسرورِ 27 / 1 / 2013

في كلِّ ما مضى من أيامٍ، وفي جميعِ الأوقاتِ التي أقضيها بالعملِ أو بالنّومِ أو بالجلوسِ إلى الأهلِ وفي كلِّ حركةٍ وسكنةٍ، بكلِّ ما سبقَ من حركاتٍ وأفعالٍ وتتالي النّهارِ واللّيلِ ستسألينَ: كيفَ أكونُ؟ وأينَ أنتِ في هذا كلِّهِ؟

أوّلاً: أريدُ منكِ أن تعرفي أنَّهُ ما مرّتْ عليّ لحظةٌ دونَ أن أفكّرَ بعينَيكِ، بحثْتُ كثيراً في العيونِ عن شبيهاتٍ لهما إلا أنَّ جميعَ العيونِ فشلَتْ في أنْ تصلَ لشروقِ عينيكِ، وثانياً: كم كانَ حجمُ الشّوقِ لصوتِكِ كبيراً؟

كانَ أكبرُ من كلِّ الأحجامِ

شوقاً أصفى من الصّفاءِ

شوقاً أنقى من النّقاءِ

ذلكَ أنَّ صوتَكِ أحلى من الشّهدِ وأمتعُ من أيِّ شيءٍ ممتعٍ " آهٍ كم أحبُّكِ "

قالَ لي كثيرونَ أنَّكِ مرتجلةٌ بطبعِكِ، فقلْتُ لهم أنّي أحببتها لأجلِ هذا

"يُولدُ النّاسُ أحراراً، وبعدَها يقيّدوا أنفسَهم بعاداتٍ وتقاليدَ باليةٍ لا تمُتُّ للدّينِ وللحياةِ وللعلمِ بصلةٍ".

9/2/2013

فتاتي الصغيرةُ

أوّلاً لكِ أحلى وأطيبُ سلامٍ، مضتِ الأيّامُ الأخيرةُ وكلُّها عملٌ دؤوبٌ متواصلٌ نهاراً منقطعٌ ليلاً، وبعدَ كثيرٍ وكثيرٍ من السّاعاتِ قرّرْتُ أنْ أبدأَ بكتابةِ رسالةٍ لكِ، ورغمَ أنَّ العملَ الجديدَ قد سلبَني كلَّ وقتي وفي ظلِّ الانقطاعِ المتواصلِ للكهرباءِ، فإنّي قد اضّطررْتُ آسفَاً للتّوقُّفِ عن الرّوايةِ التي حدَّثْتُكِ عنْها لكنّي لم أستطعْ أنْ أمنعَ قلمي من السّيرِ على الورقِ وخطِّهِ هذه الرّسالةَ.

وحيثُ أنَّ الشّوقَ لصوتِكِ لهُ ذلكَ السّحرُ الغريبُ العجيبُ على كياني لذا قرَّرْتُ أن أتباركَ بذلك الصّوتِ الملائكي، وتلكَ الضّحكاتِ التي تُطلقينَها بينَ حينٍ وآخرَ في أثناءِ أحاديثِنا، فأرجو أن تطلّي عليَّ دوماً بهذا الصّوتِ العذبِ إن كانَ صباحاً أو مساءً أو حتى في منتصفِ الليلِ.

اليومَ كنتُ في حيّكمْ وكانَ غيرَ كلِّ الأحياءِ لا تسأليني لِمَ؟ لأنّي حقيقةٌ لا أعرفُ

حبيبتي

.....

.....

في القادمِ من الأيامِ سنتحدَّثُ كثيراً لكنْ لي رجاءٌ ألّا يكونَ بذلكَ أيُّ.....، وأنتِ تعرفينَ ماذا أقصدُ، وبهذا القدرِ أكتفي.

لكِ أطيبُ الآمالِ ودمْتِ بخيرِ أنتِ وأهلكِ وكلُّ من تحبّين.

12/2/2013

اليومُ مضى غيرَ كلِّ الأيامِ لم يكُنْ استثنائياً وحسب، بل وفوضويٌّ أيضاً.

يوماً بعيداً عنّي

يومٌ قتلْتِني ثلاثَ قتلاتٍ

أوّلُ الأمرِ كانَ صباحاً فاتراً وبارداً في آنٍ واحدٍ، استيقظْتُ وما استيقظْتُ منَ الصّدمةِ التي بدأتُ بها صباحي حينَ علِمْتُ أنّي لن ألتقيَ بكِ.

ها همُ العشّاقُ والأزواجُ يبتاعونَ هداياهُم وتذكاراتُهم وأنا عجزْتُ عن فعلِ أيِّ شيءٍ.

عجزْتُ عن محادثتِكِ.

عجزتُ عن قولِ كلمةِ أحبّكِ.

عجزتُ كلَّ العجزِ فما أسوأَ هذا اليومَ.

هذا اليومُ الذي يُفترضُ به أن يحتضنَنا معاً لكنَّهُ عجزَ عن ذلكَ، وأنا عجزتُ في أوَلِ دقيقةٍ.

كلُّ الشّبّانِ والشّابّاتِ، كلُّ الرّجالِ والنّساءِ تبادلُوا اليومَ هداياهُم سوايَ وسواكِ.

كم حضّرتُ لهذا اليومِ من رسائلَ وكلماتٍ وحروفٍ جمعْتُها من جريانِ الدّمِ وتنقُّلاتِ الرّوحِ، لملمْتُها من صرخاتِ الحياةِ والموتِ، وزدْتُ عليها ألمي وحُلمي فصارتْ أشهى من النّارِ، وأعذبَ من الأسرارِ لا بل وأوضحَ من شمسِ النّهارِ، أمّا الميتاتُ الثلاثةُ فكانَتْ الأولى عدمُ ابتياعي شذى الوردِ والثّانيةُ أنّي لن ألقاكِ حتّى في الغدِ والثّالثةُ هي أنّ السّاعاتِ والظّروفَ حالتْ بينَ أذني وفمكِ، فما وصلَني بوحُ روحِكِ وما وصلَكِ أنينُ فؤادي.

في الماضي البعيدِ القريبِ من الذّاكرةِ كنْتُ أسخرُ من المحبّينَ وهم يُنفقونَ ساعاتِ اليومِ الرابعَ عشرَ من شباطَ، وهُم في غنْجٍ ودلالٍ مستمرٌّ لا ينتهي، كانَ منهم مَن يختارُ ساعاتِ الصّباحِ ليلقى مَن يحبُّ ومنهُم من يحتفي بمحبوبِهِ في وقتِ الظّهيرةِ فيهملُ العملَ ويلهمُهُ الحبُّ فيسطرُ أروعَ المعاني، وهناكَ مَن يودُّ أن يكونَ ذلك الموعدُ الحميمُ تحتَ شمسٍ تضمُّ

حلقاتِ نورِها وتبدأُ بالمغيبِ، وآخرونَ اختارُوا أن يكونَ اللّيلُ موعدَهُم فيكونُ ليلاً عامراً بالحبِّ والهناءِ والغبطةِ.

وينتظرُ العالمُ بأسرِهِ هذا اليومَ للاحتفالِ بأحبّائِهِ، وها أنا ذا أحتفلُ بحسرتي في حضرةِ الغيابِ وقداسةِ الفراقِ، وأمسيتُ بعكسِ العشّاقِ ألملِمُ ألمي، وأجرُّ أذيالَ خيبتي وأقاومُ دمعَ عيني، وأمنعُهُ من النّزولِ كي لا يُفتَضحَ أمري وفي داخلي يحترقُ الفؤادُ وتنهمرُ دمعاتُ الأملِ، ويبكي القلبُ حزناً وأسًى يشكو إلى الله ما يشتكي منهُ وحنايا الرّوحِ متناثرةٌ في كلِّ مكانٍ تبحثُ عنكِ، تبحثُ عن صوتكِ، عن ابتسامتِكِ العذبةِ، عن عيونِكِ المشتملةِ سحرَ اللّيلِ وضياءَ النّهارِ، عن قلبِكِ الصّافي ونبعِكِ الدافي، عن ثغرِكِ الشافي.

أبحثُ عن كلِّ الأيامِ التي احتوتْ أحاديثَنا، أبحثُ عن ضحكاتِنا سويّاً، عن توبيخي لكِ وتأنيبِكِ لي، لكنَّ الأيامَ التي جمعَتْنا هي نفسُها التي أرادَتْ ألّا نلتقيَ اليومَ وألّا نتحدّثَ أيضاً.

ما لهذا اليومُ الغريبُ العجيبُ الذي ما عهدْتُهُ قبلاً؟

طوالَ أربعٍ وعشرين سنةً لم يمرَّ عليَّ يومٌ كهذا بثقلِهِ وتناقضاتِهِ بمُرِّهِ وعلقمِهِ ولكنْ دوماً هذه هي الحياةُ تتوالى فيها أيّامُ الشّقاءِ والأسى.

أسًى يُنهكُ الجسدَ، يشقّقُ الرُّوحَ ويُمزّقُ العيونَ بكاءً وسُهادً، وحين توشِكُ أن تنهارَ تُطلُّ عليكَ بيومٍ أحلى من الشّهدِ تتناثرُ السّعادةُ بينَ ساعاتِهِ ودقائقِهِ، ويبرزُ الهناءَ والرّضا جلياً واضحاً من خلالِ ثوانيهِ وتتمنَّى أن تقفَ حياتَكَ عندَ هذا اليومِ لكنْ لا تلبثُ أن تعودَ لتكابدَ البؤسَ والشّقاءَ في التالي من الأيّامِ.

ولم أنتهِ بعدُ، لكنَّ خشيةَ الإطالةِ أكتفي بهذا القدرِ ولكِ حبّي وأطيبَ المُنى لكِ ولعائلتكِ ولكلِّ من تحبّينَ مع كاملِ احترامي.

14/2/2013

فتاتي الغاليةَ صباحُ الخيرِ والأملِ

أمّا بعدُ، وقد مضى ما مضى على ذلك اليومِ الخالدِ الذي تمكَّنتُ فيه من أن أناديكِ خطيبتي، وتمكَّنتِ فيه من أن تناديني خطيبي.

حقّاً إنَّهُ لَيومٌ مشهودٌ، وسيبقى بالذّاكرةِ ما بقيَ الزّمانُ.

ولقد آثرتُ في هذهِ الرّسالةِ أن أردَّ بها على رسالتِكِ لتكونَ جواباً لكثيرٍ من الأمورِ الّتي طرحْتِها.

أولاً-

هناكَ أمورٌ كثيرةٌ في الحياةِ لا يجبُ البوحُ بها، والمشاعرُ والأحاسيسُ من أهمِّ تلكَ الأمورِ، وما كانَ عليكِ أن تفصحي بها بذلكَ الشكلِ، لأنَّها – أي المشاعرُ والأحاسيسُ – لا تخرجُ عمداً أو أحداً يقومُ بسرقتِها من أحدٍ، لأنَّها إحدى النّفحاتِ الإلهيّةِ التي يحتويها كلُّ إنسانٍ وأنا وأنتِ في نهايةِ الأمرِ نتبعُ لنظامِ الإنسانيّةِ، وإنَّما وُجِدتْ لنشعرَ بها في أعماقِنا.

ثانياً-

لقد أقدمْتِ على ذكرِ شيءٍ كنتُ أتحاشى ذكرَهُ وأتجنَّبُهُ، ليس ضعفاً أو وهناً، بل لأنَّهُ مثلُ الملحِ الذي يُوضعُ على الجُرحِ وأنتِ قُمتِ بذلكَ بكلِّ عفويّةٍ وبساطةٍ، ولولا أنّي أخجلُ منكِ لقلتُ بسذاجةٍ أيضاً.

شقيقةُ الروحِ

في داخلي نفسٌ لا تعرفُ الخنوعَ ولا تأبَهُ للملمّاتِ الكبرى، وترى جواهرَ الأمورِ أشياءَ ثانويةً والعكسُ صحيحٌ، ويخفقُ بين عظامِ صدري قلبٌ سبقَ لكِ أن قلتِ عنهُ طيّبٌ، نعم لقد أصبْتِ فيما قلتِ، ولكنْ غابَ عنكِ أنَّ هذا القلبَ ليس قلبُ رجلٍ، وإنَّما قلبُ طفلٍ يعبثُ بالحياةِ ويلهو بالأيامِ ويمرحُ أشدَّ المرحِ حين يُؤتى لهُ بلعبةٍ أو تُروى له حكايةٌ، ورسالتُكِ يا بتولي كانتْ أوّلَ حكايةٍ تُروى لذلكَ القلبِ، ويجبُ أن تعرفي أنَّ قبلَ اليومِ الرابعَ عشرَ من الشهرِ الأوّلِ للعامِ الميلاديِّ ثلاثةَ عشرَ وألفانِ، كنتُ أعيشُ لنفسي وأطلبُ من الطّعامِ ما تشتهيهِ، وبعد ذاكَ اليومِ أضحيتُ أحبُّ ما تحبّينَ وأشتهي ما تشتهينَ، ولو أنّي لم أعلمْ بعدُ

كلَّ الأمورِ التي تحبّينَها وتشتهينَها، وغيرَ ذلكَ لقد سبقَ أن قلتُ لكِ في إحدى أحاديثَنا أنَّي أرفُضُ وبشكلٍ قطعيٍّ أن تقلّلي من قيمةِ نفسِكِ، وأعودُ لأكرِّرَ ذلكَ هُنا في محضرِ كلامي وإنّي لأشعرُ في بعضِ الأحيانِ بحزنٍ كبيرٍ، كبيرٍ جدّاً حين أعلمُ أنَّكِ غيرُ قادرةٍ على الكتابةِ.

ثالثاً-

أعترفُ أنّي حينَ قرأتُ الرّسالةَ قامَ قلبي بالضّحكِ، ضحكَ كثيراً من فرطِ السّعادةِ والسّرورِ، وأنتِ بنظري لم تكوني مُضحكةً، ولن تكوني كذلكَ لا اليومَ ولا غداً، ولا حتى أبدِ الدهرِ، ولكن حين يأتي الوقتُ المناسبُ لنعيشَ سوياً سترينَ بأمِّ عينكِ مَن يُضحكُ الجميعَ بتعليقاتٍ بسيطةٍ وصمتٍ حكيمٍ، وذلك اعترافٌ صريحٌ وإقرارٌ واضحٌ بأنَّنا نملكُ نفسَ الميزةِ، ضحِكَ قلبي لأنَّهُ شعرَ بوجودِ من يهتمُّ بهِ وبي أيضاً.

أمّا الحزنُ فلم يجدْ بعدُ لقلبي طريقاً سوى مرّةً واحدةً، وأذكرُ حينها أني ذرفتُ كثيراً من الدماءِ والدموعِ وراودَني بشدةٍ خاطرُ الانتحارِ، ومع تتالي الأيامِ أفلَ نجمُ المصيبةِ، وعادَ كلُّ شيءٍ كما كانَ، حين توفّيتَ جدَّتي، لم أشعرْ بقدرِ الحُزنِ الذي شعرتُ به في ذلكَ اليومِ العصيبِ الكئيبِ، فعلاً كانَ يومٌ غيرَ كلِّ الأيامِ.

الآنَ، وقد أنهيتُ الردَّ على رسالتكِ واعذريني إنْ كنتُ قد تعمَّقتُ في التفاصيلِ، إلا أنَّ لديَّ بعض التفاصيلِ لدى البعضِ ثانويةٌ وعندي جوهريةٌ، آنَ لي الأوانُ لأكتبَ عمَّا يختلجُ بصدري من لواعجَ وعبراتٍ، وأوّلُها خوفٌ متنامٍ يوماً بعد آخرَ، وشكٌّ مريبٌ وأملٌ يجلو ما سبقَ.

في النهايةِ أتمنَّى لكِ دوامَ السعادةِ والقناعةِ والهناءِ يا بتولُ، واسمحي لي أن أستخدمَ تعبيرَكِ – عائلتي الثانية – ولهم أيضاً كلُّ الحبِّ والاحترامِ والتقديرِ والإخلاصِ مع كاملِ حبّي وللحديثِ بقيةٌ.

1/3/2013

عبيرَ أحلامي

وددْتُ في هذه الرسالةِ أن أجمعَ كافّةَ كلماتِ الغزلِ لأنثرَ حروفَها أمامَكِ وأتغنّى بعينَيكِ وأترنّمَ بنغمةِ صوتِكِ وأتباهى بجمالِكِ أمامَ قلبي، ويأسرُني ذاكَ الثّغرُ الباسمُ الذي يتوسّطُ فلقةَ البدرِ التي تغفو هي الأخيرةُ بدورِها فوقَ جيدٍ لهُ من البهاءِ ما لا عينٌ رأتْ، أما حبّاتُ اللؤلؤِ التي انتشرَتْ ضمنَ ثغرِكِ فهي رائعةُ الجمالِ وتفوحُ منها رائحةُ الجنانِ كأنّها أكمامُ فلٍّ تَعدُ بالكثيرِ الكثيرِ من الشّذى.

لكنَّ ما جرى يومَ أمسٍ نثرَ مخطّطاتي للمستقبلِ القريبِ، وبدَّدَ النّيّةَ بأن تكونَ هذه الرسالةُ آيةً من آياتِ الغزلِ، فاضطُررْتُ أن تكونَ على هذا الشّكلِ، وأوّلُ ما أودُّ قولَهُ أنّي سعيدٌ ممّا حدثَ، وستُعجبينَ من ذلكَ أشدَّ العجبِ، وتسألينَ نفسَكِ: كيفَ لهُ أن يسعدَ بعدما اتَّهمني زوراً وبهتاناً بأنّي أحبُّ سواهُ؟ أيُمكنُ أن يكونَ على هذا القدرِ من النرجسيةِ؟

أنا ها هُنا لأجيبَ على كافّةِ تساؤلاتِكِ.

سُعدْتُ لأنّي على يقينٍ بأنَّ الحبَّ الذي لفَّ قلبَينا أكبرُ من كلِّ تلكَ الاتّهاماتِ وأسمى من كافّةِ التّرهاتِ، وأنا أشعرُ بقلبي بمدى حبِّكِ لي وأنا لدرجةِ عشقِكِ لن أكونَ أبداً إلا بكِ ولكِ، وذلك عهدٌ منّي إلى الأبدِ، وإذا شئْتِ إلى ما بعدِهِ ولا يُمكنُ لكِ أن تتخيّلي أنّي أملكُ نزعةً ساديّةً فكما تعرفينَ أنَّ الطّيبةَ تملُكُ عليَّ أمري، وكانَ ما كانَ في سبيلِ إثارةِ غضبِكِ فقط ليسَ إلا.

بعدَما ما جرى لن تكفيَني حروفُ الرّجاءِ ومفرداتُ الإشفاقِ للتّعبيرِ عن الإحساسِ الّذي يسرحُ بداخلي جامعاً النّدمَ والأسى والسّعادةَ والأسفَ، شعورٌ ما عايشْتُهُ قبلاً ولا قِبلَ لي بهِ، أمّا الأيامُ التي تلتْ فكانَتْ ميتةً رغمَ تدفُّقِ الحياةِ منها لأنَّ تلكَ الأيامِ كانتْ خاويةً من كلماتِكِ الطّفوليّةِ وتعابيرِكِ الخجولةِ، وكذلكَ لم يعرجْ لأذنايَ بوحُ همسِكِ، وبقيَ القلبُ يتقلَّبُ على جمرِ الشّوقِ ويُلهبُهُ حرُّ الحنينِ، فأطفئي حرائقي بدمعاتِ الفؤادِ التي تنهمرُ حزينةً منكسرةً لا تلوي على شيءٍ سوى البحثِ عنكِ عن صوتِكِ العذبِ، وعن وجهِكِ الرّقيقِ عن صورتِكِ الّتي ما فارقَتْ مخيّلتي أبداً، ولن تُفارقَها مادام فيَّ عِرقٌ ينبضُ، ويطوفُ بالوجدانِ صدى صوتِكِ ويُبعثرُ أوراقَ الذّاكرةِ ليطفوَ لقاؤُنا الأوّلُ فوقَ كلِّ اللّقاءَاتِ، وتسمو ابتساماتُنا الأولى

فوقَ كلِّ البسماتِ، ويتَّحِدا سويّاً ليُنتجَا أملَ الماضي، وأهوي لأعلى قمّةٍ بإحساسي من قممِ العشقِ، ويكبرُ فيَّ حلمُ الأمسِ ليصبحَ حلمُ الأمسِ واليومِ والغدِ، وإذ ذاكَ تتهافَتُ ذكرياتُ المستقبلِ بحضورِ حفلِ زفافِ إحساسي وعاطفتِكِ، وبذاكَ الجمعُ الغفيرُ تتلاشى كلُّ الحروفِ وتصمتُ كلُّ الكلماتِ وتُرفَعُ الأقلامُ إجلالاً لقداسةِ الموقفِ، ويعمُّ الحبورُ والإكبارُ ذلكَ أنَّ كثيراً من الأشياءِ لا تستطيعُ النّصوصُ سبرَ أغوارِها، وكلُّ ما تستطيعُ القيامَ بهِ هو التّحليقُ بسمائِها والطّوافُ بمحيطِها دونَ أن تستطيعَ الوصولَ.

بتولتي

لَكَمْ أكرهُ أن أختمَ رسالتي هذهِ وكلَّ رسالةٍ كتبْتُها لكِ ذلكَ أنّي أُسَرُّ حين أُطلِعُ من تسكنُ بقلبي على أسرارِهِ وخباياهُ، وكم يُسعدُني أن أحدِّثَها عن أجزائِهِ وتعريفِها بمحتوياتِه، لكنّي سأسلِّمُ للأمرِ الواقعِ وأختمُ على أملِ لقاءٍ قريبٍ، قريبٍ وأحلى المُنى لأحلى فتاةٍ كانَتْ ومازالَتْ وستبقى أميرةَ البناتِ وملكتَهُنَّ.

دُمتِ بوئامٍ ودمتُ بحُبِّك

2013/3/3

من خضمِّ أيامِ العملِ، ومن تزاحُمِ الأفكارِ في رأسي، ومن حركةِ الخواطرِ أخطُّ لكِ هذه الرسالةَ بعدَ كثيرٍ من كدٍّ وجدِّ العملِ، لكنّي لن أنسى أن ألقيَ عليكِ سلاماً هو من القلبِ قبلَ أن يكونَ من اللّسانِ.

والآنَ وبعدَ مُضيِّ أكثرِ من أربعين يوماً على خِطبَتِنا، آن الأوانُ لأحدِّثكِ عن القلبِ، وما احتواهُ من آمالٍ ومشاريعَ عاطفيةٍ نكونُ فيها شريكَين، وعدا عن ذلكَ ما اكتسبتُ من خبراتٍ وعلِمتُ من علومٍ من قصصِ الحبِّ والغرامِ التي تُحكى بين الأشخاصِ وتُجسَدُ من خلالِ أعمالٍ تمثيليةٍ، وجمعتُ ما ذُكِرَ آنفاً وبدأتُ بالتأسيسِ لأوّلِ مشروعٍ عاطفيٍّ، وخِلْتُ نفسي روميو وأنّكِ جولييت، تطلّعتُ لأنْ أكونَ عنترةَ وتكوني عبلةَ، حلمْتُ برُقادي أنّكِ بثينةُ وأنّي جميلٌ، وجمعَنا هوًى عذريٌّ لا دنسَ فيه ولا شائبة، لكنّكِ فوراً قتلْتِ حُلمي في مهدهِ وأجهزْتِ عليه بواقعيتِكِ.

حقيقةٌ لم أحزنْ على ذلك الحلمِ الذي نثرْتِ أشلاءَهُ في مهبِّ الريحِ لأنّي شعرْتُ حينَها أنّهُ يتوجّبُ عليّ أن أحلمَ بكِ، لكنْ في هذه النقطةِ كانتِ الغلبةُ لكِ، وجرّدْتني من أحلامي وسُرعانَ ما أتاني خاطرٌ جديدٌ يُوحي إليّ أنّي إنسانٌ متشائمٌ كَلَّ الحياةِ، وما فيها وباتَ يعيشُ فقط ليُثبِتَ صحَّةَ اعتقادِهِ، وأنتِ على النقيضِ تماماً آيةٌ من آياتِ التفاؤلِ، وأنثى أضحَتْ فراشةً تتنقَّلُ بينَ الأزهارِ باندفاعٍ نحو الحياةِ، والحياةُ تفتحُ لها أذرُعُها باسمةً، لكنْ عادَتْ واقعيتُكِ لِتدحضَ أحلامي وأوهامي، وتُشرقُ شمسُ الواقعِ من جديدٍ، بعدما عمدْتُ جاهداً لجمعِ غيومِ الأحلامِ.

حبيبتي هل تعرفينَ أنّي أخافُ منكِ؟

نعم، أخافُ منكِ!

أخافُ أن تهملي الرسائلَ، وتعلوها طبقةٌ من الغبارِ وينتشرُ بين جنباتِها الاصفرارُ، أخافُ كلَّ الخوفِ أن يأكلَ أطرافَها العثُّ، وكما أنَّ الآباءَ الجدُدَ يستمتعون باللعبِ مع أبنائهمُ الصغارِ، أنا أستمتعُ بقراءةِ ما كتبْتُ سابقاً، لكنْ وبعدَ حينٍ يساورُني الضجرُ، غير أنّي حينَ أقرأُ رسائلي لكِ يأتيني مزيدٌ ومزيدٌ من الإلهامِ، كما لو أنَّ تلك الرسائلَ أضحتْ مصدرَ إلهامي، كيف لا وهي التي تخرجُ من بينِ صيحاتِ الحياةِ وصرخاتِ الموتِ.

حبّيَ الصغيرُ

إنَّ هذه الرسائلَ تسمو سمواً جليّاً عن كلِّ الأوراقِ والأقلامِ والأحرفِ، لأنَّها ليسَتْ منهم بشيءٍ، إنَّما هي اختلاجاتُ القلبِ، وبوحُ الفؤادِ وأنينُ الرّوحِ، وتفكُّرُ العقلِ وتأمُّلُ النّفسِ، وأحلامٌ جمعْتُها من فردوسِ الحياةِ، ومن رياضِ الجنّةِ ومن سحرِ البحارِ ومن ضياءِ الأقمارِ، حصدْتُها من قممِ الجبالِ وانسيابيةِّ التّلالِ، وسطّرْتُها على جُدُرِ العينِ والقلبِ، لَئِنْ نسيتُها هنا أذكرُها هناك، وكانَ مِدادُها سائلَ الحياةِ، الذي يسمّونَهُ النجيعُ أو الدّمُ، وأمّا الحروفُ فكانتْ غيرَ كلِّ حروفِ العالمِ، وما استطاعَتْ بذورُ الّلغاتِ أن تصلَ لمثلِ تلك الحروفِ.

حروفٌ من نورِ النّورِ، ومن عتمةِ سويداءِ القلبِ، حروفاً شكَّلَها الطّهرُ ونسَّقَ حركاتِها الصّدقُ، ولمَّ أركانَها الإيمانُ والوجدانُ، وكفى بذلكَ أن تكونَ نبراساً لكلِّ الحروفِ والّلغاتِ والقواميسِ والمعاجمِ.

أتعلمينَ؟

أنا إنسانٌ واقعيٌّ بطبعي، ولكنّي فعلْتُ ما فعلْتُ وحلمْتُ ما حلمْتُ، لأنّي شعرْتُ بضرورةِ ذلكَ وفشلِ تصنّعي، وضاعَتْ أضغاثُ أحلامي أمامَ النّورِ الّذي بعثرَ ذرّاتِ الحلمِ، الآنَ وبما أنّنا سنصبحُ زوجَين في المستقبلِ، يجبُ علينا أن يُطلِعَ كلٌّ مِنّا الآخرَ على خفايا الأمورِ ودقائقِها في حياتِه اليوميّةِ، لكنْ يجبُ أن تدركي أنَّ ضمنَ عظامِ الرّأسِ يكمُنُ أرجحَ عقلٍ وبين دفّاتِ صدري أنقى فؤادٍ، ولكِ كاملُ الحريّةِ في أن تكتشفي مدى صدقِ زعمي، بكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ، سأقولُ لكِ شيئاً لا لن أقولَ بل سأطلبُ الأمورَ التي تهمُّنا يجبُ أن تبقى بيننا فقط والأمورُ التي تحكينها عنّي بين أمورِ أفرادِ أسرتِكِ، يجبُ أن أكونَ مطّلعاً عليها وأنتِ كذلك، وأكتفي بهذا القدرِ، وللحديثِ بقيةٌ لكِ كامل ..... ولأسرتي الثانيةِ أطيبُ المنى.

5/3/2013

زهرتي الصغيرة....

وبعدُ فإنَّ كثيرٍ من الأفكارِ تمرُّ ببالي دونَ أن ألقيَ لها بالاً إلا أنَّ بعضَ هذه الأفكارِ أبتْ إلّا وأن تعلّقُ في تلافيفِ الدماغِ، فعشْتُ معها وعاشتْ معي ومن بينِ هذهِ الأفكارِ شيءٌ لا أحبُّ الخوضَ فيه لكنَّهُ قد يحصلُ في أيِّ وقتٍ، وعندئذٍ لن يبقى لنا سوى البكاءِ على الأطلالِ ومعانقةِ الذّكرى أملاً منّا أن نعودَ إلى سابقِ عهدِنا.

قد لا تُدركينَ ما أعني لكنّي أعرفُ عمّا أتكلّمُ ولقد عوّدْتُ النّفسَ الّتي تعيشُ داخلي على المجدِ والخيلاءِ، وبذلك أكونَ جعلتُها أقوى من الأيامِ، اعذريني إن كنْتُ لم أُحسنْ تنميقِ الحديثِ لكنّي حكَّمْتُ العقلَ في أكثرِ المواضعِ وجعلْتُهُ نبراساً للحبِّ والحياةِ.

قيلَ لي كثيراً أنَّكَ إنسانٌ معقدٌ ولا تصلحُ للحياةِ المقبلةِ، لم أقلْ شيئاً وتأمّلْتُ في نفسي وشخصي كثيراً حتى أتبيّنَ صدقَ أو كذبَ ادّعائِهم، فتبيّنَ لي أنَّ الحياةَ المقبلةَ تخلو من أيِّ قيمٍ ومبادئَ، ولا يوجدُ فيها أيُّ شيءٍ يمتُّ للاحترامِ بصلةٍ، وهذا ما زادَني إصراراً على أنْ أبقى معقّداً كما يزعمون، واكتشفْتُ بأنّي البحرُ لكنَّ العوامَّ لم يروا من البحرِ سوى ملوحَتِهِ ونسَوا الصّدفَ الحاوي أحلى الدّررِ وأجودَ اللآلئِ، لم يرَوا منّي سوى التّهكُّمِ والتجهُّمِ وتعامَوا عن إحساسي بهم وغفلُوا أيضاً عن عواطفي تجاهِهم.

أودُّ أن أعترفَ أنّي لا أقرُّ بعواطفي لأحدٍ إلّا في النّادرِ ذلكَ أنّي أخشى أن يستغلُّوا بَوحي لتحقيقِ مآربَ أخرى، ولا أريدُ الخوضَ في التفاصيلِ، قد تتساءَلينَ بداخلِكَ ما شأني بكلِّ هذا الحديثِ: شأنُكِ أنّكِ ستُصبحينَ في أحدِ الأيامِ زوجةً لي. زوجةٌ أركنُ إليها عندما تقهرُني الدّنيا بمصائِبِها، وينبغي أن تعرفي ما أنا ومَن أكونُ وكيفَ سأكونُ، حينَ يأتي الوقتُ المناسبُ لنعيشَ سويّاً تحتَ سقفٍ واحدٍ.

لا أريدُ أن أنهيَ رسالتي بشكلٍ اعتياديٍّ لذلكَ عليَّ أن أركعَ في محرابِ الواحدِ الأحدِ ليزيّنَ لنا حياتَنا برضاهُ ورضوانُهُ، ويرزُقَنا القناعةَ الرّاسخةَ الّتي لا يمحوها الزّمانُ ولا تُغيّرُها زلّاتُ اللّسانِ.

أحلمُ مستقبلاً أن نعطيَ الحرّيةَ للعيونِ كي تتحاورَ، وكما يقولون: العينُ مرآةُ القلبِ، فدعيني ذاتَ مرّةٍ أتسلّلُ إلى داخلِكِ لأرى مكاني ومكانتي، فقد بدأَ يجتاحُني الفضولُ لمعرفةِ ذلكَ وكفى بنا مشروعٌ لن أقولَ عُشاقاً بل قلبَين اتّحدا ليقهرا الدّنيا بنقائِهما، وبكِ بدأتِ الحياةُ تدبُّ بنصوصي بعدما كانَتْ حروفاً مصفوفةً للاشيءَ، وغدَتْ رسائلي تخرجُ من القلبِ إلى القلبِ.

دُمْتِ بهناءٍ يا هنائي، يا أملي، يا بتولَ الطُّهرِ والعفافِ.

2013/3/7

أملُ الأيامِ القادمِ

كنتُ في آخرِ أربعٍ قد كتبتُ أربعَةَ نصوصٍ، هي لي قبلَ أن تكونَ لكِ واحتوتْ جُلَّ آلامي وآمالي، وكشفتْ جانباً من أسرارِ قلبي الدّفينةِ الّتي لم أُحدّثْ عنها أبداً ولا حتّى أقربَ النّاسِ إليَّ، لكنّي عاهدْتُ نفسي ألّا أخفي عنكِ أيَّ شيءٍ مهما كانَتْ ثانويةً لأنَّ لا وجودَ عندي للّونِ الرّمادي، إمّا أسودُ قاتمٌ أو أبيضُ ناصعٌ، وأنا اخترتُ أن يكونَ الصّفاءُ سجيّتي وبياضُ الثّلجِ طبْعي، ولكِ أن تكتشفي ذلكَ بأسلوبكِ الخاصِّ، وقد سبقَ لكِ أن كشفْتِ إحدى خطاياي، أمّا الحديثُ الذي ضمّنا اليومُ فكانَ غايةً في الظُرفِ والدّعابةِ ومرحتُ فيه أشدَّ المرحِ ذلك أنّي شعرْتُ لأولِ مرّةٍ ببتولٍ ورُوحَها البسيطةَ، شعرتُ بذلكَ ورقصَ قلبي فَرِحاً وزغردَ سروراً وفاضتِ البهجةُ من أوردَتِهِ عوضاً عن الدّمِ القاني.

اليومُ هي المرّةُ الأولى التي تُحدّثيني فيها دونَ تصنُّعٍ أو ارتباكٍ، فكانتِ العفويةُ تفوحُ من كلماتِكِ وحروفِكِ وخيرُ دليلٍ على ذلكَ أنّكِ لم تتردّي أبداً في قولِ أيِّ كلمةٍ تخطرُ ببالِكِ حتّى وإن كانتْ غيرُ مناسبةٍ، ورأيُكِ في الاحترامِ والخوفِ، كانَ لهُ أكبرُ الأثرِ في نفسي الّتي بدأتْ تذوبُ رويداً رويداً في أعماقِ نفسِكِ لكنّي الآن أتساءَلُ ما الّذي يُمكنُ أن يُعكّرَ صفوَ حياتِنا وأفكارِنا تتلاقى في نقاطٍ كثيرةٍ؟ أمّا الموضوعُ الّذي كنْتُ أوشكُ أن أتحدّثَ فيهِ وأنّي أخشى أن تأخذي كلامي على محملِ الجدِّ، وأنا لا أقصدُ من ذلك سوى أن أعرفَ ما الّذي سيحصلُ حينَها، وأنا الّذي تعلّمْتُ ألّا مستحيلَ في هذه الدّنيا الخرقاءِ، وإنّي إلى الآنَ لا أجرؤُ على الاعترافِ بهِ رغمَ أنّي سأجبَرُ في أحدِ الأيّامِ على النّطقِ بهذا الأمرِ، وأعودُ لأستحضرَ كلماتِكِ عن الخوفِ، وبكلِّ صدقٍ لم أتخيّلْ أبداً أن يكنْ ردَّكِ بهذا الشّكلِ الواضحِ المبينِ والّذي لم يدعُ أيَّ مجالاً للشّكِّ، ولكنّي عزمْتُ أن نُكملَ الطّريقَ سويّاً ونقهرَ كلَّ الصّعابِ وكنتُ قد حدّثْتُكِ سابقاً عن الخوفِ وأعودُ لأكرِّرَ أنّي أخافُ منكِ.

أخافُ على قلبي منكِ فهو قلبٌ حاولتُ جاهداً أن أُبقيَ على نقائِهِ، دونَ أن تجدَ لهُ الجراحُ طريقاً، وبما أنّكِ أوّلُ حبٍّ وآخرَ حبٍّ في حياتي، ها هو قلبي بين يدَيكِ كطفلٍ صغيرٍ عابثٍ فقرِّبيهِ من وجهِكِ ليركنَ إلى مسكنِهِ الجديدِ – عيناكِ – وكفى بهما وطناً لي وأقدّمُ لكِ عيوني

لتستوطني بهما لكنْ إيّاكِ وأن تهملي القلبَ أو تغفلي عنهُ، فهو بذلكَ يشقى وأيضاً أحذِّرُكِ أن تؤذيَ هذا القلبَ حينها لن تعرفي مَن أنا ولن أدركَ مَن تكونين.

نادراً ما يتسلّلُ إليَّ الغضبُ لكنّهُ حينَ يصلُ أنفجرُ بركاناً ويتلاشى ذاكَ الغضبُ بعدَ حينٍ، فأركنُ إلى صمتٍ حكيمٍ أو إلى انسحابٍ هادئٍ، هكذا عوّدْتُ نفسي لأنَ كثرةَ الغضبِ لا تولّدُ سوى الضُرَّ بالرّوحِ والجسدِ، فلِمَ الغضبُ والدّنيا بأسرِها لا قيمةَ لها؟ وهكذا أرادَها الله عزَّ وجلَّ أن تكونَ، وأختمُ بأنّي أتمنّى أن تتحدّثي معي في كلِّ مرّةٍ بنفسِ طريقةِ اليومِ، وهكذا أرمي عنّي مرّةً بعدَ أخرى أشلاءَ ارتباكي ونغدو فيما بعدُ روحاً واحدةً بجسدَين كما هي حالُ كلِّ المتحابّينَ والعشّاقِ، وأودُّ أن تعلمي أنَّ مناداتِكِ لي باسمي تمنحُني مزيداً ومزيداً من الثّقةِ ولا مانعِ لديَّ من أن تحسبي هذا رجاءً ولكِ منّي كلُّ الهناءِ وأنهي رسالتي على أملِ اللّقاءِ.

2013/3/11

غاليتي...

اليومُ كان استثنائياً، البارحةُ عزمْتُ على خوضِ مغامرةٍ في اليومِ التّالي وحمداً لله أنّها تكلّلْتُ بالنّجاحِ وسارتِ الأمورُ كما أحبُّ وأشتهي دونَ أيِّ منغِّصاتٍ وأنهيتُ يومَ عملي على أكملِ وجهٍ وما شعرْتُ إلّا ونفسي تحادِثُكِ على الهاتفِ وكأنَّ هذه المكالمةَ أو كأنكِ أنتِ فجّرتِ فيَّ عواطفَ وآمالَ ما كانتْ لتوجدَ لولاكِ يا ملاكِ.

كفاني بكِ حباً

كفاني بكِ أملاً

كفاني بكِ زوجاً حلالاً يكشفُ ضبابُ المستقبلِ وما بعدَهُ.

وحينَ كانتِ الشّاباتُ والشّبانِ يرزحون تحتَ لواعجِ الودِّ كنتُ أحيا بحدائقِ أحلامي وأنعمَ بعبيرِ الزّهرِ وشذى الوردِ وأطلبُ ما أتمنّى فيأتني من فورِهِ، عاجلاً ليس آجلاً، وكأنّي في روضٍ من رياضِ الجنّةِ.

عند هذا الحدِّ اكتفيتُ وفضّلْتُ المتابعةَ في يومِ الخميسِ، اليومُ السّتينُ بعدَ ذلكَ اليومِ العَطِرِ الذي جمعَنا سويّاً وجمعْنا نفسينا به ضمنَ ارتباطِ الخطبةِ المقدّسِ والممهّدِ لارتباطٍ أكثرِ قداسةٍ وهذا ما أتمنّاهُ، لكنْ في هذه الذّكرى أودُّ أن أعرفَ ما الّذي تعلّمْتَهُ منّي، وما الّذي أعجبَكِ في شخصي وما الشيءُ الّذي تكرهينَ وجودَهُ في طبعي، ومُجملِ الأشياءِ الّتي عرفْتها عنْكِ وسأقصُّ عليكِ أيضاً كلَّ الأمورِ الّتي تعلّمتُها منكِ في الوقتِ المناسبِ.

في مجتمعِنا يقولون إنَّ الشابَّ هو الّذي ينبغي لهُ أن يُعلّمَ الفتاةَ ما يحبُّ وما يكرهُ لتغدوَ فيما بعدُ كما يحبُّ ويشتهي، وأنا بدوري أرفضُ جُلَّ تقاليدٍ وأعرافِ المجتمعِ، ولستُ أميلُ إلى ذلكَ بل أفعلُ ما يحلو لي ضمنَ ضوابطَ كنتُ قد وضعْتُها في وقتٍ سابقٍ دونَ أن ألتفتَ لتشدُقي الآخرين من حولي وأريدُكِ أنتِ كذلكَ أن تفعلي ما يحلو لكِ ضمنَ حدودٍ تضعينَها بنفسِكِ، وأعتقدُ أنّكِ قادرةٌ على وضعِ تلكَ الحدودِ وإن تعسّرَ عليكِ أيُّ شيءٍ فأنا جاهزٌ للنّصحِ والمساعدةِ، ومُنايَ الآنَ أنْ نُكمِّلَ بعضَنا بعضاً، وأحبُّ أن أرى ما ينقصُني فيكِ وأن

تلمسي ما ينقصُكِ فيَّ كما أودُّ أن تعرفي أنَّ معَ كلِّ يومٍ يمرُّ أزدادُ شوقاً لبتولي الفتاةُ العابثةُ برحابِ القلبِ وحنايا الرّوحِ.

صحيحٌ أنَّ عيوني إلى الآنَ لم تتمكّنْ من حفظِ ملامحِكِ فإنَّ للفؤادِ رأياً آخرَ، فهو قد رسمَكِ على جدارِهِ من أوّلِ مرّةٍ رأيتُكِ فيها وغدا رسمُكِ وشمٌ يزينهُ بين الأفئدةِ، لا وبل يتباهى بكِ أيضاً محبوبةٌ لهُ أليسَ هذا كافياً؟ لكنْ في نفسِ الوقتِ يجبُ أن أعلمَ قبلَ كلِّ شيءٍ أنّكِ تبادليني نفسَ الإحساسِ ولا أريدُ أيَّ شيءٍ سوى ذلكَ ولا بأسَ إن كانَ إحساساً يشبههُ.

في النّهايةِ كلُّ ستينَ يوماً وأنتِ تنعمينَ بكلِّ الخيرِ وطبعاً أهلُكِ وأحبّاؤكِ.

14/3/2013

حلمُ الغدِ

ها أنا ذا أعودُ إليكِ من جديدٍ لستُ أعودُ بشخصي، بل أعودُ بكلماتي وحروفي وينيرُ دربي يراعٌ يخفقُ بالحياةِ ولكنْ، وبما أنّكِ لم تتعلمي بعدُ الرّسمَ بالكلماتِ فأنا أحبُّ أن أكونَ قلمَكِ الحاني برفقٍ على ورقةٍ بيضاءَ إلا إذا كانَ كبرياؤكِ يرفضُ ذلكَ، وعندئذٍ سأعودُ لأقلامي وأوراقي وأنثرُ عليها بعضَ أوهامي وأحلامي وأشاركُكِ بها.

في بعضِ الأحيانِ أشفِقُ على تلكَ الفتاةِ الّتي كانتْ مُنهمِكةً في الدّراسةِ وفي قلبِها حروفاً وكلماتٍ تنتظرُ شابّاً ما ليشعُرَ بها ذلكَ، أنّها ليستْ بكلماتٍ وحروفٍ بل هي أشبَهُ ما تكونُ بعطرِ الوردِ، لكنْ في ومضةِ فرحٍ تلاقَى قدري بقدرِها، ودخلْتُ حياتَها فسرى بأيامِها خوفٌ واهنٌ لا يقوى على البقاءِ، وارتباكٌ أنثويٌّ محبّبٌ وحياءٌ لذيذٌ، وأنا بدوري نفضْتُ الغبارَ عن قلمي، وبدأتُ أخُطُّ أحلى الكلماتِ تيمُّناً بكلماتِكِ البريئةِ، وبعدها تجلَّتْ ليَ الأحلامُ والأوهامُ فما ميّزْتُ بينَ حلمٍ أو وهمٍ، لولا أنّي أبصرْتُ جماليةَ الحياةِ وزينتَها من خلالِ رؤيتِكِ للحياةِ ورغمَ ذلك تظلّين أنتِ المرأةُ الصّغيرةُ الّتي أحاولُ بقدرِ ما أستطيعُ أن أعطفَ عليها وأحنوَ على أفكارِها وأرجعَ لطفولتي من خلالِ بساطتِها، ولكنّي أبقى البحرَ والقمرَ والقلمَ والقلبَ، وأنتِ أعذبُ أنهاري وألمعُ نجماتي وأبدعُ كلماتي وسرُّ خفقاتي.

ربيعُ أيامي

ستحادثُكِ نفسُكِ إنّما هذا سوى محضُ كلامٍ دبَجَهُ من بينِ صفحاتِ الكتبِ، لكنْ لو تعلمينَ أنّي في كلِّ مرَّةٍ أخطُّ فيها لكِ رسالةً أغدو كدوحةٍ تتالى فيها الفصولُ، وأوَّلُ ما أعانيه حرٌّ لاهبٌ يحرقُ كياني ويُذيبُ وجداني وشمسٌ حارقةٌ تُبخِّرُ حبرَ أقلامي، ولا تلبَثُ أن تتساقطَ ساعاتُ أيامي واهنةً واهيةً، يملأُها الضّعفُ ويُلوّنُها الخوفُ وبعدئذٍ تأتيني رياحٌ عاتيةٌ ما هي سوى سراباتٍ لا تُغني ولا تُسمنُ من جوعٍ وإذ ذاكَ تبدأُ الأمطارُ بالتّساقطِ، وأنتشي بها لكنّها أمطارٌ تحملُ لي الفرحَ والحزنَ في آنٍ واحدٍ، وبعدَها يغزوني صقيعٌ لا يُحتَملُ وينجلي القرّ بعدَ أن يعطيَ الإذنَ للّونِ الأبيضِ ليرسمَني من جديدٍ ويعودُ الودقُ ليُثبِتَ أنّهُ الأقوى فيأتي بعواصفَ كُبرى لا قُدرةَ لي على احتمالِها، لكنْ هذهِ المرّةَ يكونُ حاملاً أفكاراً وخواطرَ كثيرةً كثيرة وتمرُّني أيامٌ سودٌ أقضيها وأنا أنتقي من الأفكارِ ما يروقُ لي، وينقشعُ الضّبابُ

وتُشرقُ حانيةً على الوردِ في مهدِهِ، وما هذا الوردُ سوى رسائلي لكِ وأهبُكِ هذه الرّسائلَ دونَ أن تشعري بآلامِ المخاضِ التي تعترينِي في سبيلِ كتابةِ رسالةٍ واحدةٍ، فما بالُكِ بالكمِّ الهائلِ الذي وردَكِ منَي وسأعطيكِ مزيداً منها ما دامَ بصدري خافقٌ يعُجُّ بالحياةِ.

هناكَ الكثيرين بحياتي ولم أكتبْ لأيِّ أحدٍ بحجمِ ما كتبْتُ لكِ، وأنتِ تقولينَ هل من مزيدٍ؟ هل من مزيدٍ؟ وكأنّي رحيقُ زهرٍ، وأنتِ نحلةٌ نشِطةٌ تعُبُّ كلَّ ما تلقى من ألوانٍ ونكَهاتٍ. وعلى أملِ اللقاءِ القريبِ القريب أختمُ رسالتي مع أنقى المُنى وخالصِ الإخلاصِ.

18/3/2013

بتولي، مساءُ الحُبِّ

أكتبُ لكِ هذهِ الرّسالةَ والكونُ بأسرِهِ شاهِدٌ على فرحي بكِ، ها هي ذي أمنيتي قد تحقّقتْ وجلسْنا سوياً بعد طولِ انتظارٍ، صحيحٌ أنَّ الفترةَ التي انقضتْ ونحن متباعدَينِ لم تكُنْ سوى ثلاثونَ يوماً إلا أنّي شعرْتُ أنَّها ثلاثون قرناً وأكثر وما أسعدَني هو أنَّ حديثَنا كانَ في غايةِ العفويةِ وغابَ عنّي أيّ تصنُّعٍ وتلاشى أيُّ أثرٍ للارتباكِ.

ها أنا ذا أكتبُ لكِ من حلبَ، أكتبُ لكِ من روما، من باريسَ، من لُندنَ، من أيِّ مكانٍ تشائِينَ، فالعالمُ كلُّهُ أصبحَ مُلكي بحبِّكِ، لكنَّ هذا وحدَهُ لا يكفيني فأنتِ التي أضحكَتْني وأبكتْني بوقتٍ واحدٍ، وكثرةُ الحُزنِ تُولّدُ الضّحكَ وأنا حدثَ لي عكسُ ذلكَ فبكيتُ من فرطِ السّعادةِ.

وأنا أكتبُ هذه الحروفَ تمرُّ ببالي حركتُكِ التي تُثيرُ في نفسي أعذبَ العواطفِ اتجاهكِ فما كلمةُ أحبُّكِ سوى غيضٌ من فيضٍ عظيمٍ فلن يقدرَ الحبُّ مهما كبُرَ أن يصلَ لمثلِ ما يعتمِلُ بصدري وكياني ولن أسمحَ لحروفي أن تُفصحَ عن قُدسيَّةِ هذه العاطفةُ التي سَمَتْ بها قسماتي وعَلَتْ بها ذاتي، ورغم أنّ ماضيَّ كانَ مثالياً وأفاخرُ به أمامَ الجميعِ إلّا أنَّ المستقبلَ المُشرِقَ لن يكفيَني فخراً وشرفاً وحسب ذلكَ أنّكِ به، لا بل العكسُ فأنتِ المستقبلُ يبدأُ بكِ، إنَّني أفخرُ بكِ وأنتِ على وضعِكِ الراهنُ فكيفَ بي عندما تُصبحين منّي؟

حتَّى من شدّةِ السّرورِ الّذي لفّنا تطايرَتْ أفكارٌ وخواطرُ كنتُ قد جهّزْتُها سلفاً فلم أحدِّثْكِ بأيِّ شيءٍ منها واكتفَينا بالحديثِ عن بيتِ الأحلامِ حيثُ تتراقصُ الأمانيُّ وتُزهرُ الآمالُ وينحسرُ الحزنُ حزيناً كئيباً ليحُلّ محلَّهُ فرحٌ فَرِحْ، وهناكَ انتشينا معاً بشدوِ الأزهارِ وميسِ الأطيارِ وغمرَنا بعدئذٍ عطرُ الحوارِ وما شعرْنا بليلٍ أو نهارٍ.

سكينةُ القلبِ

عندما طلبْتِ منّي أن أستمرَّ في كتابةِ الرّسائلِ خالجَني شعورٌ غريبٌ امتزجَ فيهِ الخوفُ والفرحُ، وجلٌ من أن يأكلَ الإهمالُ أطرافَ الرّسائلِ، ولو تعلمين أنَّ هذهِ المكاتيبَ هي فلذاتُ

كبدي وهي أغلى ما أملِكُ، وفرحٌ لأنكِ الإنسانُ الوحيدُ خلالَ الأربعِ والعشرين سنةً الأخيرةَ الذي قرّرَ اقتناءَ تلك العواطفِ، لا بل رجوتِ أن تكونَ لكِ ولكِ وحدكِ وأنتِ تدركينَ ذلك.

حبيبتي إن يسألوكِ عنّي قُولي لهم سلُوهُ عنّي وكفانا بذلكَ هُياماً والبقاءُ والمجدُ لحبِّنا النّقي، على أريجِ ذكرى لقائِنا العذبِ أنهي رسالتي.

22/3/2013

خفق الروح

أمّا بعدُ فكنتُ قد كتبتُ رسالتَين قبلَ أن أخُطَّ هذه وكان الأجدرُ بي أن أكتبَ هذه أولاً إلّا أنَّ الفرحَ والخوفَ وأشياءً أخرى بالنسبةِ لي أموراً غيرَ عاديةٍ ولم أعتدْ عليها بعدُ هي التي أخّرتْ هذه الرَسالةَ، أمّا موضوعُها فسيكونُ عن الخواطرِ التي جمعْتُها سابقاً ليومِ لقائِنا الأخيرِ، ولم يسعَنا الوقتُ لنتحادثَ بها، والأَولى هو موضوعُ الاهتمامِ فإنّي قد وجدْتُ حلّاً ولسْتُ مُجبَراً عليهِ بل اخترْتُهُ، هذا الحلُّ يا عشقَ الفؤادِ هو الصّبرُ إلى أجلٍ مُسمًّى وبالصّبرِ تهونُ الشّدائدُ، وثاني أمرٍ هو أنّي أحبُّ أن أعرفَ ما يستهويكِ من الأسماءِ ولو أُعطِيتِ حُرّيةَ الاختيارِ فبمَ سمّيتِ نفسَكِ؟

أعودُ لآخرِ يومٍ التقينا فيه وحدثَ أن كانَ بملابسِكِ قذْرٌ ضئيلٌ ضئيلٌ جداً من الابتذالِ، لا أدري أكانَ هذا قرارُكِ أم قرارُ سواكِ وهذا شيءٌ لا أحبّذهُ ومع مرورِ الأيامِ ستُدركينَ السببَ!

لقد آثرتُ أن تكونَ قليلةٌ اتّصالاتي من الآنَ وصاعداً وذلك في سبيلِ أن تتفرّغي بشكلٍ تامٍّ لتحصيلِكِ العلمي، وأكونُ بذلكَ ساهمْتُ ولو بشكلٍ بسيطٍ في نجاحِكِ رغمَ أنّي سأُعاني الأمرَّين خلالَ بُعدي عن بوحِكِ.

وفي هذهِ الأثناءِ أودُّ الاعترافَ لكِ بأنّي إلى الآنَ لم أستطعْ قهرَ الحياءِ الذي يتملّكُني وأنا أحادِثُك، لا ليس حياءً بل أجزاءُ ارتباكٍ قديمٍ لا أدري ما سببُ وجودِهِ لكنّي أميلُ إلى الاعتقادِ بأنَّ عدمَ مصاحبتي للفتياتِ دونَكِ هو الّذي أوجدَ هذا الارتباكَ خاصّةً فيما يتعلّقُ بموضوعِ الاحترامِ، وما أشدُّ ما لقيتُ من أسًى حين علمْتُ أنَّ سبيلَكِ للمُزاحِ والضّحكِ هو السُّخريةُ من الآخرين والتّنمُّرُ بأفعالِهم.

أقولُ لكِ يا بتولُ حقيقةً يجبُ عليكِ معرفتُها من الآنَ وهي أنّي كنْتُ أحسِبُ ألفَ حسابٍ قبلَ أن أتفوَّهَ بأيِّ كلمةٍ قد تُؤذي مشاعِرَكِ، وأنتِ لم تهتمّي مطلقاً بصرحِ الغرورِ الذي أنشأتُهُ حولي بل حطّمْتهِ أشنعَ تحطيمٍ، ولا أخفيكِ سرّاً لقد آلمَني كثيراً هدمُ ما بنيتُ حولي من صروحٍ ونفِذتْ كلماتُكِ إلى عُمقِ أعماقي ونثرْتِ الصّروحَ كيفما اتُّفقَ وبعثرْتُها لتذروها الرّياحُ.

بتولُ

لقد سبقتِني بمراحلَ كثيرةٍ فيما يتعلَّقُ برفعِ الكلفَةِ وأنا قابعٌ خلف كلماتي أحارُ من أينَ أبدأُ وكيفَ؟ والآنَ بدأَ يتكشَّفُ لي الجانبَ الغيرَ حسنٍ بطبعِكِ، وكُلِّي أملٌ بألّا يكونَ المستورُ أعظمُ، وكنتُ أحسبُ أنَّ أبراجَ غروري هي ذاتُها أبراجُ كبريائِكِ لكنّي كنتُ مُخطئاً فأرجو ألّا تُحطّمي ما أبني حولي من أوهامٍ وأحلامٍ وأنتِ إن طابَ لكِ العيشُ مع أحلامي وأوهامي فأهلاً وسهلاً، وإن لم يناسبْكِ ذلكَ فأرجوكِ أن تدعيني أحيا بسلامٍ، وآملُ أن يكونَ وَصَلكِ ما أعني ولا أستطيعُ الإفصاحَ بالمزيدِ.

لكِ احترامي وبالتوفيق.

كتبت هذه الرسالة في الفترة الواقعة بين 23 آذار و3 نيسان عام 2013

سلامٌ منّي لأول وآخر فتاة سكنتْ في قلبي

وبعدُ، وقد قاربَ حبُّنا المثاليةَ وشارفَ على النّضوجِ التّامِّ فإنّي أخشى ألّا تكتملَ فرحتُنا على الشّكلِ الذي نحبُ أو أن تكتملَ دون أن تكتملَ بمعنى أن تتمَّ كيفما اتّفِقَ وهذا ما لا أطيقُهُ، ولكنْ وبالرّغمِ من أنَّ ارتباطَنا حصلَ دونَ مراسمٍ وبلا حفلٍ رسميٍّ، وكيفما اتّفقَ أيضاً فلا سبيلَ لنا سوى الرّضوخِ لقدرِنا، ولكنَّ هذه هي الحياةُ والكمالُ وحدهُ للواحدِ القهّارِ، وهذا مجرَّدُ رأيٌّ لا أعلمُ إن كنتِ تشاركينني به وسبقَ أن حدّثتُكِ عن بعضِ هُمومي، والآنَ تعتريني بعضُ المخاوفِ حولَ فارقِ الأيامِ الذي يفصِلُ بينَ ربيعِكِ وخريفي، وأنا الّذي أرى نفسي نضجْتُ قبلَ أن أنضجَ ولكِ أن تدركي ذلكَ، وأعودُ إلى المجلسِ الذي جمعَنا مؤخّراً وأستحضرُ كلماتي وإيحاءاتُكِ، فأنتشي بعبيرِ ثغرِكِ المُتبسمِ ويزغردُ الشّغفُ في الشِّغافِ هياماً بكِ.

في أوّلِ الأمرِ كنتُ قد أحببْتُ روحَكِ فقط، أمّا الآنَ فإنّي أعشقُ كلَّ ما فيكِ جسداً وروحاً وقلباً، وكلّما أحببْتكِ أكثرَ نما الخوفُ أكثرَ في أعماقي ورغمَ أنّي لا أخشى شيئاً من الخارجِ إلّا أنَّ هناكَ وجلٌ متعاظِمٌ يأكلُني من الدّاخلِ.

خوفٌ من نفسي.

خوفٌ منكِ أنتِ.

خوفٌ من أقربِ النّاسِ إليّ.

وقبلَ كلِّ ذلكَ خوفٌ كبيرٌ كبير من خالقي جلَّ في عُلاهُ.

حلمُ العمرِ

يكادُ خيالُكِ لا يُفارقُ ذاكرتي، وأظنُّ أنَّ نفسَ الحالِ ينطبقُ عليكِ، وهُنا أودّ أن أوضّحَ أمراً غايةً في الأهميةِ وهو التّعلُّقُ بالخالقِ لا بالمخلوقِ، وأنا لا أضمنُ البقاءَ لأكملَ الرّسالةَ ولا حتّى لبرهةٍ وربَّما يأتيكِ أحدُ الأيّامِ ويتناهى إلى مسمعِكِ أنَّ خالداً لم يعُدْ موجوداً فقدَ غيّبَهُ الموتِ، أو سرقتْ رصاصةٌ ما روحَهُ وغدا جسداً لا روحَ فيهِ.

حبيبتي

لا تبكي عليَّ أبداً بل ارفعي رأسَكِ عالياً شامخاً فوقَ السّحابِ، وقولي لهم لقد أحبَّني بكلِّ رجولةٍ ووفاءٍ.

لا تبكي عليَّ فإنَّ دموعَكِ ستعذّبُني في لحدي.

لا تبكي، فحرامٌ أن تسيلَ دُررُ عينَيكِ على الأرضِ.

لا تبكي فدموعُكِ تحرقُني.

وأنا كذلك إن حدثَ لكِ أيُّ مكروهٍ أو رحلْتِ فلن أبكيَ لا لأنّي لا أحبُّكِ بل لأنَّ عينيّ ستجفُّ بكاءً ولن يكفنيَ ذلكَ أبداً بل سيبقى غيابُكِ جرحاً عميقاً. عميقاً جداً وسيعجزُ النسيانُ عن وأدِهِ ذلكَ أنّي أحببْتُكِ كلَّ الحبِّ ويستحيلُ أن تحلَّ فتاةٌ أخرى محلّكِ، اعذريني ما كانَ عليَّ أن أُفسحَ المجالَ لأفكارِ الموتِ والرّحيلِ، ولكنّي أيقنْتُ أنَّ الدّنيا مثلَها كمثلِ ثعبانٍ مبينٍ لا يُؤتمَنُ جانبُهُ ونحنُ في نهايةِ الأمر نحيا فيها شِئنا أم أبينا.

في النهايةِ أرجوكِ لا تبكي عندَ انتهائِكِ من قراءةِ هذه الرّسالةِ وإن حدثَ وفرّتْ منكِ بعضُ الدّموعِ، فإنّها ستكونُ آخرَ رسالةٍ تحوي خلجاتِ صدري، وسأكتبُ بعدَها ما تحبِّين أن تقرأيهِ من كلماتٍ ملَّ من العشّاقِ ولكِ الخيارُ إمّا أن تقرأي فرحي وحزني وتعيشي مع يأسي وأملي، أو أن تُتطالعي حروفاً مثلَ كلِّ الحروفِ.

2013/3/27

بتول

أنا إلى الآنَ لم أُظهِرْ أي ردِّ فعلٍ تُجاهَ بعضِ هفواتِكِ، لكنْ آنَ الأوانُ لتعرفي مَن أنتِ ومن أنا، وسبقَ أن قلتُ لكِ أنّي نادراً ما أغضبُ لكنْ يبدو أنَّ الغضبَ سيصلُني دونَ أن آبَهَ بالنّتائجِ اللّاحقةِ مهما تكنْ، وسبقَ أن قلتُ لكِ كثيراً من كلماتِ الحبِّ والغرامِ، وذلكَ في سبيلِ اجتثاثِ الأشياءِ التي تحيا في داخلِكِ من خوفٍ وارتباكٍ وحياءٍ وخاصّةً منّي، بيدَ أنّي متفهّمٌ لوضعِ الفتياتِ اللائي بمثلِ عمرِكِ، لا تفهمي كلامي على أنَّهُ تراجُعٌ عن حبّكِ، لكنْ ماذا لقيتُ جرّاءَ هذا الحبِّ الّذي وهبْتُكِ إياهُ؟

نالَني الكثيرُ من عدمِ الاكتراثِ وكأنّي لم أخطبْ بعدُ، وأنتِ لم تقولي لي أيَّ كلمةٍ تعبّرُ عمّا بداخلِكِ، وتستكثرينَ عليَّ مُناداتي باسمي وفوقَ كلِّ هذا وذاكَ وما زادَ الطّينَ بلّةً هو عدمُ احترامِكِ لي في آخرِ مرّةٍ تحدّثْنا فيها، أهذا جزاءُ ما قدمْتُ؟

بتول

أحبُّ أن أعرفَ من الآنَ وقبلَ أن تتطوّرَ علاقتُنا أكثرَ، هل أنتِ مقتنعةٌ بي كزوجٍ لكِ وأباً لأولادِكِ لاحقاً أم لا؟ وإنْ كانَ جوابُكِ لا، فأنا لا أحبُّ أن أفرضَ نفسي على أحدٍ، ويجبُ أن تعرفي أنَّ الكتابةَ تستهويني قبلَ أن أقدّمَ على خطبتِكِ، والذي تغيّرَ أنّي وجّهْتُ جُلَّ كتاباتي إليكِ لأنّكِ ستعيشينَ معي وينبغي عليكِ أن تُقرّبي ما أحبُّ وتُبعدي ما أكرهُ وكذا الأمرُ بالنسبةِ لي، وهذهِ الرّسالةُ ما كنْتُ لأكتبَها لولا اقترابُكِ من الخطوطِ الحُمرِ التي كنْتُ قد وضعتُها لنفسي، ولن أسمحَ لأيِّ أحدٍ مهما يكُنْ أن يتجاوزَها وفي النّهايةِ فإن هذهِ الرّسالةَ لا تحملُ بالضّرورةِ أيَّ نوعٍ من أنواعِ التّهديدِ بل أموراً يجبُ إيضاحَها وأنا لا زلتُ خالداً الذي تعرفينَ ولم يتغيّرْ في شيءٍ أبداً وأحلمُ في ذاتِ يومٍ أن يجمعَنا بيتٌ واحدٌ.

2013/3/31

دُرّتي

أعودُ لسابقِ عهدي وأفتتحُ رسالتي بسلامٍ خاصٍّ جداً جداً، كما أودُّ أنْ ألقيَ السلامَ أيضاً على مَن وهبَكِ صباهُ ومنحَكِ عطرَهُ وعمرَهُ.

في الأيامِ الماضيةِ خُضْتُ مخاضاً لم ألقَ منهُ سوى الهمِّ، وبدأَ ذاكَ حينَ انتهينا من آخرِ حديثٍ لنا، حيثُ راودَتْني أفكارُ الغرورِ والاحترامِ، وما فتئْتُ أُمجّدُ هذهِ وأُبجّلُ تلكَ حتى جاءَني خاطرٌ أكثرُ سوداويةٍ من ذي قبلٍ، وصوّرَ لي أموراً لن أستطيعَ البوحَ بها، ولكنّي جُلتُ حولَها في آخرِ رسالتَين، لكنَّ اليومَ حدَثَ ما لم يكنْ بالحُسبانِ، وفجأةً وبدونِ إنذارٍ مسبقٍ وجدْتُ نفسي أقرعُ بابَ منزلِكِ، وكانتِ الطّامّةُ الكُبرى حينَ استقبلْتني بابتسامةٍ عذبةٍ، وقابلْتُ بسمَتِكِ بجحودٍ ما بعدهُ جحودٌ، وأنتِ حاولْتِ أن تقهري جحودي بكلِّ ما تملكينَ، لكنّكِ فشلْتِ في ذلكَ، وفوراً انزويتِ على نفسكِ بعدما شعرْتِ بمدى قسوتي على فرحِكِ بي. أعترفُ أنّي كنْتُ قاسياً جدّاً في تصرُّفي معكِ، وما كانَ ينبغي أن أثورَ بتلكَ الطريقةِ التي ثُرتُ بها، ولكنّي لم أستطعْ تحمّلَ أن يرانا أحدٌ ونحنُ نتبادلُ الكلماتِ على مرأى من الجوارِ وهمُ الذينَ على أغلبِ الظّنِّ لا يعلمون بخِطبتِنا، وما إنْ دخلْتِ حزينةً مكسورةَ الخاطرِ حتى تبيّنَ لي فداحةَ ما ارتكبْتُ، لكنْ من حيثُ المبدأ لم أكنْ مخطئاً، وكلُّ ما فعلْتُهُ كانَ خشيةَ كلامِ الجوارِ عليكِ لا عليَّ، فأنا كما تعرفينَ لا أهتمُّ بذلكَ أبداً، لكنّي لا أحتملُ أن يُحكى عنكِ بسوءٍ، ذلك أنَّكِ جوهرتي النفيسةُ التي أخبِّئُها بينَ ضلوعي، وبكلِّ أسفٍ لم أُبقِ أحداً إلّا وحدَّثْتهُ عن فعلتي الشنيعةِ، وكأنّي حررْتُ القدسَ، لقد صوّرتْ لي نفسي فِعلَتي على أنَّها عينُ الصوابِ، لكنْ حينَ لمحْتُ مسحةَ الحُزنِ في عيونِكِ ارتعدَ قلبي ومزّقَ نفسَهُ بكاءً، وما كان منّي سوى أنْ أحدّثَ شقيقَكِ في بعضِ الأحاديثِ الجانبيةِ.

حبيبتي

قد تشعرينَ بشيءٍ من النّفاقِ في هذهِ الرّسالةِ، لكنْ حتّى وأنا أكتبُ الصّورَ حائرٌ بين صِحّةِ ما فعلتُ أو خطأهُ، لكنَّ الّذي أُدركُهُ الآنَ أنّي كنْتُ جلِفاً، وكنتُ مثل نيرونَ الّذي أحرقَ روما حبًّاً بها فوقعَ في الخطأ الأعظمِ " فأنْ تُحبَّ شخصاً فهذا لا يعني بالضّرورةِ أن تتملَّكَهُ " هناكَ أمرٌ ثانويٌّ، لكنْ ربَّما يكونُ له أثرٌ عظيمٌ، وهو وجودُ تلك الطفلتَين بفوضويتهما.

حدّثْتُ أحدَ المقرَّبين عن هذه الواقعةِ، فوجّهَ لي أقسى الكلماتِ، وجعلَ يوبّخُني أيُّما توبيخٍ، وختمَ قائلاً: رغمَ السّلبيةِ الهائلةِ بما حصلَ إلا أنَّ هناكَ أمرٌ إيجابيٌّ واحدٌ، وهو أنّكَ لم تتصنَّعْ أيَّ شيءٍ، وظهرْتَ على سجيّتكَ وأعتقدُ أنَّ الغِيرةَ هي التي ألهبَتِ الدماءَ بعروقِكَ.

نجمتي السّاطعة

إلى الآنَ لم أستطعْ أن أجزمَ بأن فعليَ كانَ صحيحاً أو خاطئاً، لكنّي متأكّدٌ أنّي حوّلْتُ حلاوةَ ذاكَ اليومَ إلى عَلقمٍ بجهلٍ، بعبثٍ، بغباءٍ لا أدري كيفَ؟ لكنْ سمِّهِ ما شِئتِ فأنا في النهايةِ قسوتُ على فتاةٍ بعمرِ الزهورِ، لا تعيشُ إلّا بالحنوِّ وتنمو فقط بالرحمةِ ولكِ كاملُ الحقِّ بأنْ تقطعي وصالَكِ ردْحاً من الزمنِ، ودعيني أقاسي خلالَ ذلكَ جزاءَ ما اقترفْتُ إلّا إذا كانتْ سمتُكِ العفو، فإن ذلكَ من شيمِ الكرماءِ، وأختمُ بأنّي لم أفكّرْ قطُّ بأذيتكِ، وأقسمُ بذلكَ لكنْ من مبدأ الحرصِ عليكِ كانَ ما كانَ.

بلّغي أهلكِ عنّي سلاماً، وقولي لهم قد يقسو عليّ خالدٌ، فأهرعُ إليكم لأخفّفَ وطأةَ حزني لكنْ يا بتولُ!! يا نورَ العينِ!! ومُهجةَ الفؤادِ!! إنْ قسا عليكِ أحدٌ من أفرادِ أسرتكِ، أو عاندَتْكِ الأيامُ أو حدثَ لكِ أيُّ أمرٍ تكرهين وجودَه فتأكّدي من وجودي بقربِكِ روحاً وفكراً، أمسحُ أحزانَكِ وأزيلُ همومَكِ وأيقني أنّي كنتُ وما زلْتُ، وسأبقى لحدَ المصائبِ التي تعترضُ حياتكِ ذلك أنّكِ زهرةُ غرامي.

دُمتِ بأمانٍ وأستودعُكِ عندَ الله الذي يستحيلُ أن تضيعَ عندَهُ الودائعُ.

5/4/2013

روحُ الكرمِ والإيثارِ

بعدَ هولِ ما جرى في ذاكَ اليومِ العصيبِ والذي سيبقى في الذّاكرةِ ما بقيَ الزّمانُ وستظهرُ تبعاتُهُ تتالياً، ولو أنّي أعلمُ ما سيفرزُ ذلكَ التّصرفَ الأرعنَ لمّا أقدمْتُ على فعلِهِ، وها هي ذي ثماني سنواتٍ عجافٍ مرّتْ عليَّ وقد كلّلَها الكدرُ وغشّاها القحطُ، وانتشرَ الجدبُ في أرقامِ شهورِها، وكيفَ لي أن أعيشَ ضمنَ الضنكِ الّذي غرِقَتْ فيهِ؟ فلا نورُ رجاءٍ ولا ضياءُ أملٍ، ليسَ هناكَ سوى سُحباً سوداءَ قاتمةً تبرقُ يأساً وتُرسلُ بؤساً وتلفحُ روحي التّعبةَ ريحاً صرصراً عاتيةً، أكلُّ هذا لأنّي عمِلْتُ وما علمْتُ؟

وتستمرُّ مأساتي حينَ أحاولُ جاهداً وصالكِ لكنّي قابعٌ في وادي الأسى وأنتِ هناكَ في أعلى نقطةٍ تُداعبينَ نجومَ الثّريا بمرحٍ ويصبحُ الحلمُ مرّاً علقماً بعدما أدركَ أنّي لن أحظى بسماعِ صوتِكِ أبداً، وإذا بشُعاعٍ مُبهرٍ يقشعُ كلَّ الغيومِ ويُجلي كافّة الهمومِ وتظهرُ حروفُكِ على حائطي وتُهنّئني بمناسبةِ يومِ ميلادي.

آهٍ ما أحلاها وما أغلاها من حروفٍ.

حروفٌ شدا بها قلبي وطربَ لها عقلي وانتشى بشذاها فُؤادي ونلْتُ من الفرحِ أشدّهُ، لكنْ آهٍ لو تزدادُ تلكَ الحروفُ.

صاحبةُ القلبِ الرّقيقِ

إنَّ الحروفَ التي أشعلَتْ جذوةَ السّعادةِ في نفسي هي نفسُها التي أرشدَتِ الهمَّ ليجدَ طريقَهُ إليَّ، وذلكَ عندما طلبْتِ منّي الوصالَ لكنْ كيفَ التّلاقي؟ وقد تقطّعَتْ كافّةُ السّبلِ وعادتِ الأكدارُ والأحزانُ لسيرتِها الأولى، فسيطرَتْ على أيامي وأوغلَتْ عميقاً جداً في ذاتي ولشدّتِها أيضاً نالَني بعضُ الألمِ في مواضعَ كثيرةٍ بجسدي وشرودٍ واسعٍ لا نهايةَ لهُ، ها أنا ذا أجمعُ شتاتَ نفسي وأُقاسي البردَ والخوفَ والجوعَ في سبيلِ أن يأتيَ يومٌ يحملُ لنا فرصةَ لقاءٍ أو ومضةِ حوارٍ، وأستمتعُ بلقاءِ أنقى فتاةٍ، وأطردُ البردَ بحرارةِ عاطفتي وأطمئِنُّ بوجودي قربَكِ ووجودَكِ قربي، وأكفي نفسي من حروفِكِ وكلماتِكِ ليزهرَ خريفي ويتحوّلُ بردُ شتائي إلى ربيعٍ رائعٍ، وكفاني بذلكَ حلمٌ حتى هذهِ اللّحظةِ لأقومَ بوأدِ الأشواقِ الّتي

تعتملُ بصدري، وما هذي الأشواقُ سوى أفاعٍ وثعابينَ تفنى بمجرّدِ أن ألقاكِ أو أحادثَكِ، وأمّا الكآبةِ فهي لم تفارقْني أبداً والتصقَتْ بي والتصقْتُ بها من يومِ الواقعةِ الفظيعةِ لغايةِ تاريخِ كتابةِ هذهِ الرّسالةِ ولا أدري إذا ما كانَ حديثي معكِ قادرٌ على إزالةِ هذا المرضِ العضالِ الذي بدأَ ينخرُ بجسدي، أم أنّهُ سيستمرُّ إلى أن يشاءَ الله أن ينتهيَ.

وأختمُ بأنَّ الذي حصلَ ويحصلُ معنا لهُ حكمةٌ ما سأسعى جاهداً لأحيطَ بها علماً وإنْ فشلتُ فيكفيني شرفُ المحاولةِ وعلى العهدِ ما زلتُ باقياً، ولي منكِ الهناءُ ولكِ منّي كلُّ الوفاءِ.

دُمتِ بسلامٍ

9/4/2013

أميرةُ الوردِ

ها هي ذي الأيامُ تسيرُ مُتلاحقةً مُتعاقبةً وتتجدّدُ الذّكرى القريبةُ منَ القلبِ، هي أقربُ إليَّ منّي من حبلِ الوريدِ.

كُلُ تسعونَ يوماً وأنتِ بألفِ خيرٍ.

وتعودُ للذّاكرةِ جُلُّ التّفاصيلِ الّتي مرّتْ معنا خلالَ التّسعينَ يوماً الأخيرةَ، هذهِ التّفاصيلُ هي الّتي جعلَتْ الأيامَ تعجُّ بالحياةِ، ورسمَتْ ليَ أحلامُ المستقبلِ وبيّنتْ ليَ بعضَ المسؤوليّاتِ الّتي ستترتّبُ على كاهلي، خاصّةً وأنَّ الكفّةَ ترجحُ لي بكافّةِ الأمورِ لكنْ لا بأسَ فوجودُكِ قربي يمنحُني مزيداً ومزيداً من الثّباتِ والصّبرِ في مواجهةِ بناتِ الدّهرِ.

اليومَ اجتاحَ بيتُنا فرحٌ عارمٌ بسببِ قدومِ مولودٍ جديدٍ، وأنا خرجْتُ بسلامٍ منَ الدّوامةِ الّتي كنْتُ أرزحُ تحتَ وطأتِها وأعيشُ أيامي الحاليةَ حالماً بلقائِكِ مُشتهياً حوارَكِ، أتحرَّقُ شوقاً لكِ وكأنَّما كُتِبَ عليَّ أن أحزنَ عندما يُسعدُ الآخرينَ، لا أدري ما سببُ ذلكَ لكنْ لا بأسَ فالصدمةُ التي لا تكسرُ الجبلَ تزيدُهُ قوّةً وصلابةً، وأنا عِشتُ سنواتي بين تلكَ الصّدماتِ ويعودُ للذّاكرةِ ذلكَ اليومُ الحزينُ الّذي غشّاهُ الفرحُ فسُرَّ الجميعُ لأجلِ وليدٍ جديدٍ، وأنا كنْتُ قابعاً في قعرِ حزنٍ حزينٍ.

أوَ تعلمينَ أنَّ الخوفَ الذي حدّثْتُكِ عنْهُ سواءً أكانَ برسالةٍ أو حوارٍ تلاشى ولم يعُدْ لهُ أيُّ وجودٍ وأنا بانتظارِ أن يزولَ عنكِ الارتباكُ.

حُبّي الوحيدُ

لقد كنْتُ في أكثرِ أحاديثِنا أوجّهُ لكِ بعضَ المُلاحظاتِ والإرشاداتِ وذلكَ في سبيلِ أن تصبحي كما أريدُ لكنّي ومنذُ وقتٍ قريبٍ تنبّهتُ إلى خطئي ذلكَ فلرُبّما صنعَتْ تلك الملاحظاتُ بعضَ الحدودِ بيننا، وهذا ما لا أريدُهُ أبداً وبالتّالي يجبُ عليكِ أن تُغفلي كلَّ الأمورِ التي يكونُ فيها التّسامحُ حلاً وبينَ الخطوطِ الحُمرِ التي أعلمْتكِ بها، وما هذا سوى تراجعٌ عن خطأ جثيمٍ.

حدّثَتني نفسي في ذاتِ ليلةٍ: عن كلِّ الرّسائلِ التي أرسلْتها لمحبوبَتِكَ ورغمَ كلِّ كلماتِ العشقِ والهوى التي تحتويها تلكَ الرّسائلُ إلّا أنّها باردةٌ كالثّلجِ ولا وجودَ لحرارةِ العواطفِ فيها.

وهذا يا حُلوتي سببُهُ أنّكِ إلى الآنَ تبخلينَ عليَّ بكلمةِ الهوى، وبكلِّ صدقٍ أحلمُ بسماعِها من ثغرِكِ ولمَ ذلك لا أدري؟

أملُ حياتي

آنَ الأوانُ كي نكشفَ عيوبَنا أمامَ بعضِنا البعضُ ذلكَ أنَّهُ يستحيلُ أن يخلوَ بنو آدمَ من الثّغراتِ واطمئنّي فأنا أحبّكِ رغمَ كلِّ شيءٍ وأريدُكِ كما أنتِ وعلى وضعِكِ الرّاهنِ، وها هوَ ذا طيفُكِ بدأَ يداعبُ أحلامي رويداً رويداً والقلبُ يهفو لأنْ يحلُمَ بكِ.

وعلى أملٍ لقاءٍ قريبٍ قريبٍ أُنهي رسالتي.

18/4/2013

ابنةَ القلبِ

دائماً أقولُ لنفسي أنَّهُ يتوجَّبُ عليَّ أن أحادِثَكِ، إلّا أنّي أصطدمُ في كلِّ مرَّةٍ بأسبابٍ خارجةٍ عن إرادتي، ولا أجدُ سبيلاً إليكِ سوى اليراعَ والقرطاسَ، وأفرِغُ ما بالقلبِ من عَبراتٍ وحسراتٍ وأعودُ لرسالتِكِ الأخيرةِ، فأقرؤُكِ فيها وآراكِ بكلماتِها وأسمعُكِ بحروفِها وأشعرُ بنبضِ قلبكِ حين أضمُّها لصدري، وهذه هي حالتي وأنا بعيدٌ عنكِ أكابدُ الشوقَ وأحتملُ ثِقلَ الحنينِ بجلادةٍ ما بعدها جلادة.

اليومُ حصلَ ما كنتُ أتمنّاهُ، وجلسْنا سوياً بعدَ طولِ وقتٍ وعذابِ انتظارٍ، لكنّي لم ألقَ ممّا أحبُّ شيئاً، صحيحٌ أنَ السّعادةَ كانتْ تتطايرُ من ثغرِكِ لكنّي كنتُ في وادٍ آخرَ، ما الّذي جعلَني بعيداً عنكِ حينَها؟ لا أدري ربّما.....

لقد كانَ في حوارِنا الشّيءُ الكثيرُ من العتابِ واللّومِ، وهذا ما جعلَ السّعادةَ تغيبُ عنّي حتى أنتِ ربَّما كنتِ تتصنّعينَها، ورغمَ ذلكَ فأنا راضٍ كلَّ الرّضا عمّا جرى، لكنّ هناكَ أمراً آخرَ ربّما بدأتْ تؤثّرُ علينا الظّروفُ الخارجيةُ، وهذا ما ظهرَ جلياً واضحاً لحظةَ سماعِكِ أزيزَ رصاصةٍ ما! وكم سُعدْتُ حين ناديْتني باسمي، وقلتِ لي بأنَّكِ خائفةٌ، صراحةً لم أهتمَّ أبداً وأنا الّذي يتوجَّبُ عليّ أن أزيلَ خوفَكِ، ذلك أنّي شربْتُ من كأسِ السّعادةِ، وسكرتُ على أثرِها، وطارَ القلبُ عالياً من شدّةِ فرحِهِ، ورفرفَ بعيداً كلُّهُ سرورٌ وبهجةٌ، وشدا باسمِكِ وترنَّمَ غبطةً وغنَّى أحلى الأغاني، وأنقى المعاني هُياماً بكِ، أما ملابسُكِ فكانَتْ هذه المرةَ غايةً في الأناقةِ، وأنتِ أضفْتِ عليها لمسةَ جمالِكِ، فصارَتْ في قمّةِ التألُّقِ والألَقِ، وأنتِ بالمجملِ برزْتِ مثلَ نجمٍ وضّاءٍ، يُنيرُ ما حولَه من نجومٍ.

ذكرى المستقبلِ

بعدما انتهى الوقتُ وآنَ أوانُ الرّحيلِ، ونزلْنا سوياً إلى الشّارعِ بصُحبةِ أفرادِ أسرتِكِ واكتشفتُ فيكِ ما ألهبَ مشاعري، وأجَّجَ عواطفي، فقد بدوْتِ مثلَ طفلةٍ صغيرةٍ تتراءَى البساطةُ بوجهِها، وتنتشرُ العفويةُ بين قسماتِها، في تلك اللّحظةِ اشتهيتُ أن أحضنَكِ بحنُوٍّ ما بعدَهُ حنُوٌّ، وأيضاً تمنّيْتُ أن أبتاعَ لكِ دُميةً تَفرحينَ بها وفارَ فيَّ نبعُ الحنانِ.

مليكةُ الغرامِ

يقولُ كثيرونَ أنّي لا أُتقنُ التّحدُّثَ مع الفتياتِ -وأنتِ أميرَتُهنَّ- وفعلاً بدأتُ ألحظُ هذا في مواضعَ كثيرةٍ في أحاديثِنا، لذلكَ أرجو أن تعذري رجولَتي فهي لم تعْتدْ أن تتَّخذَ من اللطفِ ثوباً، وإن كنتُ أُحسنُ اختيارَ الكلامِ في الكتابةِ فإنّي أفشلُ بذلكَ أثناءَ الحوارِ – أيُّ حوارٍ.

وبعدُ ولمّا كنْتِ أنتِ في قمّةِ الجمالِ، وكانتْ بقيةُ الفتياتِ في وادٍ سحيقٍ، فقد نلْتِ من كلِّ شيءٍ أجودَهُ، فصرتِ كوردةٍ بشذى عبيرِها، وعصفورةٍ بشدوِ تغريدِها، فأنتِ البتولُ التي أنتشي بعطرِ حوارِها ويخفقُ القلبُ سروراً لسماعِ صوتِها، وتهفو الروحُ وتجتمعُ العواطفُ وتلمعُ العيونُ، ويثورُ الفرحُ وتتجمَّعُ كلُّ الحروفِ بكلمةٍ تختزلُ الحياةَ وكينونَتَها، وتتجمهرُ الكلماتُ وتسودُ في الليلِ جلبةً ما بعدَها جلبة، وأخيراً يعلنُها الفؤادُ بكلِّ صراحةٍ، وأمامَ جميعِ من اجتمعَ ويهتفُ أنا بحبك.

2013/5/3

نورُ قلبي وعيوني

كنتُ قد عزمْتُ في قرارةِ نفسي أن أتوقَّفَ عن كتابةِ الرّسائلِ إليكِ، ومواصلةَ ما بدأْتُ به من أحداثٍ في الروايةِ التي حدّثتُكِ عنها، وأمضيْتُ بضعةَ أيامٍ أستجمعُ أفكاري إلا أنَّ الأفكارَ كلّها كانت تنتهي عندَكِ، وأدركْتُ الآنَ أنّي قبلَ ما أعرفُكِ لم أكنْ أكتبُ بل أجمعُ حروفاً وأنتشي بها حيناً أو بعضَ حين، غيرَ أنّي وبعدَ دخولُكِ لقلبي ومن بابِهِ الواسعِ أضحَتْ كلُّ الكتاباتِ عنكِ ولأجلكِ وإليكِ وبسببكِ ومذ عرفتُكِ تركْتُ عتمةَ الرّملِ، ورنوتُ نحو نورِ الشّمسِ، خلّفْتُ ورائي حِلكةَ اللّيلِ، واستقبلْتُ ضياءَ النّهارِ كُرمى لضياءِ عيونِكِ ونورِ روحِكِ، وقبلَ كلِّ شيءٍ لضرورةِ وجودي، وها أنا ذا أنتظرُ المستقبلَ مستبشِراً حالماً.

أنتظرُ اليومَ الّذي تتّحدُ فيهِ روحانا لنغدوَ فيما بعد كعَينٍ وهدبِها، نتحاضنُ كلّما نمِلُّ من العناقِ، ونتحاببُ حينَ نسأمُ من الودِّ وتشهدُ على ذلك كلُّ آمالِ الهوى، وجُلُّ أغاني الحبِّ وكافّةِ أحلامِ المُنى، وجميعِ أماني الحلمِ كيفَ لا وأنا الذي أريدُ أنْ أعلّمَ العشّاقَ كيفَ يكونُ العشقُ، وأعطي دروساً للمغرومينَ في الغرامِ وألقّنُ الشبابَ أروعَ الصّورِ في الهيامِ، وأرجو أن تعرفي قبلَ كلِّ شيءٍ أنَّ كلَّ قصصِ الحبِّ التي خلّدَها التّاريخُ ما كانتْ لتكونَ لولا حبُّنا فنحنُ نبراسٌ للعشّاقِ في دروبِهم ومنارةِ الأحبابِ في سبلِهم.

نبضُ أيامي

كما أنَّ الوردةَ تجودُ بعطرِها يوماً أو بعضَ يومٍ، ومِن ثمَّ يزولُ، وكذلكَ هو حالُ الحبِّ الذي لمَّ شتاتَ قلبَينا، وإن لم نغذّهِ بعواطفَ كُبرى وأحاسيسَ عظيمةٍ، فإنّه سيخبو مع تلاحُقِ الأيّامِ ولذا يتوجَّبُ علينا أنْ ننبضَ بالحبِّ وننطقُ به ونعيشُ فيه، وفي الشتاءِ نستدفئ بدفئِهِ وخلالَ الصيفِ نستظلُّ بظلِّهِ، وحتّى لو استطعنا لتناولْناهُ طعاماً وشراباً يمسحُ أوَدَنا، ويقيمُ ذاتَنا وكفانا بذلكَ سمواً نقيّاً طاهراً كطُهرِ مريمَ العذراءِ البتولِ عليها أزكَى سلاماً من خالقي جلَّ في عُلاهُ.

في الختامِ أتمنَّى أن أرى نفسي عندَكِ ليسَ بأيِّ مكانٍ، وإنّما في الأحلامِ، لم أكنْ قبلكِ أتقنُ أيَّ حديثٍ أو حتّى حوارٍ، لكنْ بعدما اقتربْتُ منكِ عشقْتُ الكلامَ، فأنتِ الحبيبةُ والعشيقةُ

والتي فطرتْ قلبي حبّاً وعلّمتْه الهيامَ، وبعد ذلك أمسى عالِماً خبيراً يجلو ما اجتمعَ من سراباتٍ وأوهامٍ، ليسَ بكلِّ شيءٍ سوى أمورِ العشقِ وكلماتِ الولَهِ وأسرارِ الغرامِ.

بتولُ

لكِ حبّي.

لكِ قلبي.

لكِ أروعُ الحروفِ التي سطّرَتْها الأقلامُ.

وبكِ تبدأُ ولا تنتهي.

ولا تنتهي وتبدأُ عندكِ كافةُ الأحلامِ.

أستودعُكِ الله الذي لا تضيعُ عندَهُ الودائعُ وهو الذي سمَّ نفسَه بالسّلامِ.

2013/5/6

فرحتي الكبرى

وأخيراً وصلَتْني رسالتُكِ بعدَ شوقٍ كبيرٍ، وأمدٍ طويلٍ، وقبل أن أفتحَها طِرتُ من الفرحِ لأنَّها غايتي وكلُّ مُناي إلى هذهِ اللّحظةِ، وقد نلتُ مرامي، وحين بدأتُ بحلِّ طيّاتِها كانَ القلبُ يرقصُ ويشدو حتّى أبصرْتُ افتتاحيّةَ رسالتِكِ (أملُ أيّامي)، وتابعْتُ قراءةَ الرّسالةِ وإذ بجناحَين كبيرَين جداً يحملاني إلى أرضِ السّعادةِ، وأتابعُ قراءةَ الرّسالةِ هناكَ، وبينَ كلِّ حينٍ وآخرَ أبتهلُ بذكرِ اسمِكِ وأسمو بنغمةِ صوتِكِ، وفي أرضِ السّعادةِ جرّبتُ شعورَ الحسّونِ وهو يشدو بأعذبِ الألحانِ، واستطعْتُ أيضاً أن أكونَ مكانَ الغصونِ وهي تداعِبُ النّسماتِ والنسماتُ تلهو بأفنانِها بكلِّ رقّةٍ، وتمكّنْتُ من نقاءِ النّقاءِ ومن بهاءِ البهاءِ، وما كانَ ليكونَ ذلكَ لولا تلك الحروفُ التي غصّتْ بها ورقتُكِ وانتشَتْ بها كلُّ ذرّةٍ بجسمي، وكأنّها حبّاتُ ودقٍ هطلَتْ على أرضٍ جرداءَ فاهتزَّتْ وربَتْ، وحالما أنهيتُ قراءةَ رسالتِكِ بقيتُ رِدحاً من الزّمنِ لا أدركُ ما يحدثُ حولي وما يدورُ بخلَدي من شدّةِ السّرورِ، وكادَتْ عينيّ تُمطرُ دموعَ الفرحِ لولا أنّي منعْتُها فأمطرَتْ بقلبي قطراتٌ من روحِ السّعادةِ فتمايلَتْ شغافُهُ، وامتلأَ النّورُ بسويدائِهِ وتناهى إلى أذنيَّ صوتٌ عذبٌ رقيقٌ كرقّةِ ماءِ الجداولِ، وإذ ذاكَ الصّوتُ يتغنَّى بكِ حُبوراً وإجلالاً، وما كانَ سوى صوتُ عينايَ التي أحبّتْ كلَّ ما فيكِ ولن أعجبَ مُستقبَلاً إذا أبصرَتْ أذناي جماليةَ أحاديثِنا وجمالكِ لأنَّ الحُبَّ يبدِّدُ كلَّ مستحيلٍ، ذلكَ أنَّهُ روحُ الله في البشرِ وأمامَ عظمةِ الإلهِ تزولُ كلُّ النّواميسِ الّتي عرفَها البشرُ.

بتولُ

إنِ اتَّخذتُكِ حبيبة لقلبي فأنتِ أكثرُ من ذلكَ، وإن جعلتُكِ خليلةً لروحي فالرّوحُ لن ترضى بذلكَ وتريدُ المزيدَ، وإنِ اتَّخذتُكِ عشيقةً فلن يكفيَني ذلك أبداً، فأنا أريدُ أن تكوني زوجتي وحبيبتي وخليلتي وعشيقتي وصفيتي، ولو كرّرْتُ كلَّ تلكَ الكلماتِ لمَا وفّيته حقّهُ للّذي يعتلجُ بصدري، أمّا الرّسائلُ وزيادةُ حلاوتِها كما قلْتِ فإنّها كالعودِ الذي يُستخرجُ به المسكُ فيكسبُ رائحتَهُ وتلكَ هي حالُ الرّسائلِ الّتي لم ولن تكونَ بقدرِ ذاكَ الجمالِ لولاكِ يا أغلى ما لديَّ، لكنْ قبلَ أن تصلَني الرّسالةُ كنّا قد تحدّثْنا سويّاً بأمورٍ أساسيّةٍ وأخرى ثانويّةٍ، ولكَمْ سررتُ خلالَ ذاكَ الحوارِ خاصّةً بعدَما أزحْتِ السّتارَ عن بعضِ أمورِكِ الخاصّةِ، وما حملَ ذاكَ

الحوارُ من بسماتٍ وضحكاتٍ كانتْ منَ القلبِ قبلَ أن تكونَ من الثّغرِ، وكم لقيتُ من تعبٍ وأنا أحتملُ دلالَكِ؟ وكم أعياني غنجُكِ وحرّكَ بداخلي تيّاراً هائلاً من الأحاسيس، حقيقةً أنَّ الدّلالَ يليقُ بكِ، أمّا خفّةُ الرّوحِ فسبحانَ الّذي وضعَها بشخصِكِ وحمداً لله أنَّ هذا الحوارَ الّذي جمعَنا كانَ عن طريقِ الهاتفِ، ذلكَ أنّي ما كنتُ لأحتملَ هذا الكمَّ العظيمَ من الفرحِ، ليسَ هذا وحسبُ بل إنّهُ بالمجملِ يومٌ عصيٌّ على النّسيانِ، ففيه النّشوةُ الأزليّةُ وكيف يأفلُ وبه تغذَّتِ الرّوحُ بحبِّكِ واستمتعَ الجسدُ بصوتِكِ.

وفي نهايةِ النّهارِ وبعدَ مرورِ هذه الدّفعاتِ الهائلةِ من السّعادةِ لبثْتُ في مكاني أضحكُ بين حينٍ وآخرَ، وأتأمَّلُ في الأيّامِ القادمةِ، فأجدُ الهناءَ يغلّفُها والرّضا يُزيّنُ أطرافَها وأرجو أن تعلمي بأنّي سأبقى أتمنّى لكِ دوامَ الحبِّ والسّلامِ، وطبعاً حُلمي الوحيدُ والكبيرُ هو أن أبقى حبيبَكِ الأزلي وعهداً منّي سأبقى أُهديكِ زهرَ أيّامي كي تنعمي بعبيرِهِ وفي الختامِ لكِ حبّي وأحرّ أشواقي وأطيبَ منايَ.

2013/5/13

بعدَ مرورِ مئةٍ وخمسين يوماً على خطبتِنا لا أدري ما أفعلُ! هل أهنّئُ نفسي بكِ؟ أم أنّي أحثُّها على الصبرِ ريثما تُصبحينَ كما أهوى؟

في وقتٍ لاحقٍ كنتُ قد احتفلْتُ بكِ على طريقتي الخاصّةِ بهذهِ المناسبةِ فجمعْتُ حواسّي كلّها ونصبْتُ فؤادي راعياً للحفلِ، وتقدّمَتْ جوقةُ شجوني مجموعَ الحاضرينَ وبدأَ الحفلُ بكلمةٍ ألقَتْها روحي وعبّرتْ من خلالِها عن عظيمِ الودِّ الّذي تكنُّهُ لكِ، وكذلكَ عن مدى سعادتِها بحبّكِ الذي غلبَ عليها، وختمَتْ بأنّها ستقدِّمُ لكِ أنقى إخلاصٍ، وبعدها قامَتْ عيناي بشرحِ الأسبابِ الّتي دعتْها لعشقِكِ، وإذ ذاكَ تجمّعَتْ من تلقاءِ ذاتِها لتقدِّمَ رقصةَ حبِّ الحياةِ وحياةُ الحبِّ فرسمَتْ أحلى الصّورِ مُعبّرةً عن هيامِها بالبتولِ التي سحرَتِ المشاعرَ وألهبَتِ الأحاسيسَ وتمثّلَ الختامُ بنشيدٍ غنّتْهُ أحلامي وكانَ يحملُ عنوانَ " بتولُ غايةَ الأملِ " وانفضَّ الحضورُ وأنا كلّي أملٌ بأنْ أسمعَ صوتَكِ أو ألمحَ وجهَكِ، لكنْ قبلَ ذلك وقبلَ مرورِ تلكَ الذّكرى الدّانيةِ من القلبِ كُنّا قد تحدّثْنا سويّاً بأمورٍ كثيرةٍ وكانَ ذاكَ حواراً على الهاتفِ وانقسمَ نصفَين فكانَ نصفُهُ الأوّلُ رائعاً كلَّ الرّوعةِ لدرجةِ أنّي لا أذكرُ شيئاً منهُ، وذلكَ لأنّي هِمتُ بالنّشوةِ الّتي أحدثَها صوتُكِ بكياني، أمّا القسمُ الثّاني فقد جاءَ جادّاً بعضَ الشيءِ بعيداً عن الهزلِ، وفتحَ لي أبوابَ المستقبلِ من جديدٍ بعدما شعرْتُ لوهلةٍ أنّها مؤصدةٌ وحين انتهى الحوارُ بشقّيهِ وخلُصَ الاحتفاءُ بتتويجِكِ ملكةً للقلبِ عُدتُ لذاتي، فوجدْتُ أنَّ الفراغَ القديمَ ما زالَ ينخرُ بجسدي العتيقِ، ورغمَ تواجُدِ الكثيرِين حولي ليقدّمُوا لي النّفيسَ قبلَ الرّخيصِ لكنْ دائماً تقفُ نفسي العزيزةُ حائلاً بين كرمِهم وحاجتي وبينَ هذا وذاكَ أتخبّطُ وأضجُّ بمكاني وأثورُ بوجهِ أفراحي ومسرّاتي، وأحوّلُها أكداراً تضيّعُ أزهارَ العمرِ وتتثاقلُ الهمومُ محمّلةً بالآهِ والأسى وأبقى رهيناً للبؤسِ قرناً أو بعض قرنٍ، مرَّ بوقوفِ الزمنِ وأرجعُ لحياتي وكأنَّ شيئاً لم يكنْ.

نبراسَ أُنسي

ها أنا أبثُّ لكِ لواعجَ حُزني وعلّةَ أسايَ وذلك لأنّا اخترْنا أن نتقاسمَ الحزنَ قبل الحلمِ وبعدَ ذلكَ ستجمعُنا خيوطٌ من عذوبةٍ وبراءَةٍ، وحينئذٍ سنزيّنُ الآهاتِ بالبسماتِ ونجعلُ الحزنَ الكئيبَ يتطلَّعُ لأن يكونَ ومضةَ فرحٍ ونذرَ التّعاسةِ في مكانٍ بعيدٍ عنّا كلَّ البعدِ لنهنّئَ بالهناءِ ونسعدَ بالسّعادةِ، وبذلكَ نكون قد دنونا من السّرورِ الخالدِ وتغدو أحلامُنا رغداءَ وأفكارُنا ميساءَ، وأخبِّئُ لكِ الوفاءَ وتُضمرين لي الولاءَ، وأختمُ بقبلةٍ أضعُها على جبينِكِ، سمتُها النّقاءُ وأصلُها الصّفاءُ وغايتُها البقاءُ.

دمتِ لقلبي حبيبةً وبقيتُ لذاتِكِ حرزاً أميناً وعاشقاً وفيّاً وحبيباً مخلصاً وأنتِ تدركين ذلك، مع كاملِ حبّي.

16/5/2013

أميرة القلب

أوّلُ ما أبدأُ به رسالتي هو سلامٌ لكِ يحملُهُ رسولُ الحُبِّ على جناحِ الهوى وأعذبُ المُنى لذاكَ الرّجلُ الذي بعثرَ صِباهُ في العملِ ليؤمّنَ لكِ بسمةً على مدارِ الأيامِ، وكذلكَ للمرأةِ الّتي أفنتْ جُلَّ عمرِها من أجلِ تنشئَتِكِ على أتمِّ وجهٍ.

أمّا بعدُ فإنّي أرى أنَّ تقارُبَنا أصبحَ مثالياً خاصّةً في ظلِّ التفاهُمِ الواضحِ بيننا، ولذا أرجو منكِ أن تطلبي منّي ما تحتاجينَهُ، وكوني على ثقةٍ بأنّي سأكونُ في قمّةِ السّعادةِ حينَ ألبّي حاجتَكِ فقد نذرْتُ نفسي لأخلّدَ الحبَّ الذي جمعَنا، لا ليسَ حبّاً بل هو أكثرُ من ذلكَ، أموراً بالقلبِ أكبرُ من أن تُحكى أو تُكتبَ فهي عواطفُ تحوّلُ الليلَ لسُهادٍ مُمتعٍ لذيذٍ، وتُسجي ساعاتِ النّهارِ فيتناثرُ الوردُ بين دقائقِها ويتطايرُ الزّهرُ فوقَ لحظاتِها، فيغدو النّهارُ بكدّهِ مسرحاً للعطرِ والشّذى، ويُمسي الغروبُ وقتاً لشروقِ الأحلامِ، وعندما تُشرقُ ذُكاءُ تأفلُ الأحلامُ وتزغرِدُ الآمالُ الصّاخبةُ لتعلنَ عن بدءِ عرضِ رقصةِ الحبِّ والهوى.

قبلةُ أحلامي

في الحياةِ أشياءُ كثيرةٌ تتطلَّبُ منّا التّعاونَ إنْ كانتْ مصاعبُ تغلّبْنا عليها باتّحادِنا، وإن كانتْ مصائبُ هزمْناها بصبرِنا، وفي حالِ بانتِ الدّنيا لنا عن بسمةٍ سلونا بالمسرّاتِ، وترجعُ إلى ذاكرتي كلماتُ رسالتِكِ التي حقّقتْ ما أردْتُ ذلكَ أنّكِ تحدّثْتِ بأمورٍ ما تحدّثْتِ فيها خلالَ أحاديثِنا السّابقةِ، وعدا عن ذلكَ فأنا وأنتِ وأيّ شخصٍ كانَ ينالُ أكبرَ قدرٍ من الحريّةِ أثناءَ الكتابةِ بعيداً عن رقابةِ الآخرينَ، وما ينتجُ عن ذلكَ من ارتباكٍ وخجلٍ وحساباتٍ معقّدةٍ، وأنا لمسْتُ ذلك برسالتِكِ، فأرجو أن تستمرّي بذلك كُرمى لي ولكِ ولكي أعرفَكِ أكثرُ فأنا هنا أشدّدُ على هذا الأمر للأسبابِ آنفةِ الذّكرِ، أمّا وإنّي أحبُّ دوماً تذكُّرَ الأمورِ الّتي تجمعُنا فأودُّ أن تعكفي على تسليطِ الضوءِ عليها لأنتشي بها، وأتأكّدُ من صحّةِ اختياري لكِ وقبولكِ بي يا نظيرةَ الرّوحِ والهوى.

ها نحنُ ذانِ نرنو إلى المستقبلِ بكلِّ أملٍ وحبٍّ ويُكلّلُ رأسَينا الرّضا والبهجةَ تنتشرُ بين قسماتِنا ليس ذلك وحسبُ فإنْ ظلّلنا على ما نحنُ عليهِ فأنا واثقٌ تمامَ الثّقةِ بأنّا سنسيّرُ الأيّامَ والظّروفَ كما نريدُ ونجعلها ساعاتٍ يعمُّها السّرورُ ونختصرُ الشّهورَ والسّنينَ لتصبحَ أيّاماً

وشهوراً، ويغدو العُمْرُ بأكملِهِ نشوةَ فرحٍ ونحيا وكأنّا في قلبِ الجنةِ، أوَ ليستِ الجنّةُ أن تحيا كما تحبُّ وتشتهي دونَ أيِّ منغّصاتٍ؟ وبذلكَ نكونُ قد ضَمِنّا مستقبلاً باهراً إلا إذا شاءَ ربّي سبحانَهُ أنْ يكونَ مستقبلُنا عكسَ ذلكَ، عندئذٍ سنرضخُ لبناتِ الدّهرِ ونلُمَّ ذَرّاتِ الأملِ لنحيا بها ونصنعَ بين كلِّ حينٍ وآخرَ نقطةً بيضاءَ لكي تنيرَ أيامَنا في حالِ اشتدّتْ عتمةُ الأزماتِ، ذلك أنَّ الأسودَ لا يليقُ بنا البتّةَ وعارٌ علينا أن نقنُطَ ونركنَ للأهوالِ لأنَّ لذّةَ الحياةِ تكمُنُ بمجابهةِ الصّعابِ ولا طعمَ لها بدونِ ذلكَ وخشيةَ الإطالةِ أنهي رسالتي على أملِ الّلقاءِ القريبِ القريبِ وتذكّري دوماً أنّي أحبّكِ إلى الأبدِ وإلى ما بعدِ بعد الأبدِ.

19/5/2013

روح العُمرِ

بعدَ مرورِ كثيرٍ من الأيامِ على خطبتِنا بدأَ سؤالٌ جديدٌ يزدادُ إلحاحاً، وهو كيفَ كنتُ أعيشُ قبلكِ؟ خاصةً أنّكِ احتللْتِ مساحةً كبيرةً من قلبي، وحيّزاً هائلاً من عواطفي، وتوجّهَتْ إليكِ كافةَ أحلامي.

في الماضي القريبِ البعيدِ من الذّاكرةِ كنتُ أتبنّى أفكاراً، وكنتُ ما أفتأ أتنقّلُ من تجربةٍ لأخرى، وذلكَ في سبيلِ امتحانِ تلكَ الأفكارِ، وطبعاً مع وجودِ فراغٍ كبيرٍ، كبيرٍ في الحاضرِ والمُستقبلِ.

ستحمِلُ الأيامُ القادمةُ لنا لقاءً بإحدى ساعاتِها وساحاتِها، وكم أتحرّقُ شوقاً لتلكَ اللّحظةِ؟ كشوقِ المسلمين لكعبتِهم وشوق المسيحيين لمسيحِهم، ولِمَ لا يكونُ الاشتياقُ كبيراً؟ وبلقائِكِ تتغذّى الرّوحُ بنفحاتِ الحبِّ، ويسمو الجسدُ فوقَ كلِّ الأرواحِ، وطبعاً لن يفوتَني أن أهنِّئَكِ بيوم ميلادِكِ، وفيما مضى كانَ ذاكَ اليومُ عيداً لكِ فقط، لكنْ بعدما حضنْتُ روحَكِ واحتضنْتِ روحي أضحى عيداً لكلَينا ويكادُ يحسبُ الرّائي أنّا روحاً واحدةً بجسدَينِ.

زهرتي اللّطيفةُ

انتظرتُ هذا اليومَ طويلاً جداً، ودوماً تُراني أعدُّ الثّواني وأحسبُها أيّاماً، وتُمسي الأيامُ سنيناً وأنا بعيدٌ عنكِ، فبكِ أتوّجُ أحلامي، وباسمكِ أزيّنُ كلماتي، وبصوتِكِ يحلو بَوحي، وقد حدثَ لي المستحيلُ معكِ، وذلكَ عندما همستْ عيوني بشغفِها بكِ، وهتفَ الفؤادُ بكلِّ ارتجالٍ أنَّهُ يحبُّكِ، وما كانَ من قلبي سوى الخروجُ من صدري ليُصرّحَ أمامَ الجميعِ أنّكِ تيّمْتهِ عشقاً وإذ ذاك انحنَتْ أنقى العواطفِ وأصفى المشاعرِ وأرقُّ الأحاسيسِ إكباراً وإجلالاً للهيامِ الّذي فاضَ منّي وغمرَ كلَّ الأحبابِ وأنتِ يا عشقَ الفؤادِ.

في البدايةِ كانَ الحياءُ يغلبُ عليكِ أمركِ، وذاك ما زادَني ولهاً بكِ، لكنْ بعدَما انفرجَتْ أساريرَكِ وتفتَّحَتْ أزهارُ قلبِكِ دنوتِ منّي أشدَّ الدنوَّ وبادلْتِني أحلى عاطفةً وأجملَ إحساسٍ فكانَ لهما الأثرَ العظيمَ في ذاتي، ومع مرورِ الأيّامِ راحَ حبّنا يكبُر وينمو كطفلٍ صغيرٍ أمامَ أعيُنِنا ونحنُ نرقبُهُ بفرحٍ عظيمٍ ونصونُهُ بالأملِ، ونجعلُ به أعظمَ الأحلامِ البسيطةِ وأبسطَ

الأماني العظيمةِ، ونُكلِلُه بالسّلامِ والوئامِ ليعلو فوقَ السّحابِ، ويسمو على كلِّ الأوهامِ ونربّيه على أدبيّاتٍ جديدةٍ غيرَ كلِّ آدابِ الهوى، لأنَّ الذي جمعَنا ودٌّ جديدٌ لم يحصلْ من قبلُ، ولن يحصلَ مُستقبلاً مهما تعاقبتِ السّنونُ وتتالَتِ الدّهورُ، وسنعلّمهُ مُستقبلاً كيفَ يُزيلُ كلَّ الآهاتِ، ويمسحُ كافةَ الآلامِ ذلك أنَّهُ العزيزُ الّذي نشأَ من اتّحادِ قلبَينا وتمازُجِ روحانا.

وأختمُ رسالتي على أملٍ أقربِ لقاءٍ لنا عندما تضحكُ العيونُ، وتفورُ ينابيعُ الحُبِّ من قلبَينا ولكِ العهدُ الخالدُ بأنّي سأبقى أهديكِ عطرَ أيّامي وورودَ عمري، كي أزدادَ قُرباً منكِ وتزدادي اقتراباً من حبيبِكِ خالد.

2013/5/24

خفقُ الرّوحِ

في الأيّامِ الماضيةِ نالَني فرحٌ عظيمٌ يعجزُ البوحُ عن وصفِهِ، وإن حاولتِ الكلماتُ التحدّثَ عنهُ، لعادتْ مُنكسرَةً حزينةً وهي ترثي فشلَها، وكيفَ يُمكنُ لحبّةِ مطرٍ أن تحكيَ عن بحرٍ بالغُ الكِبرِ، إن ما حدثَ لي في الآونةِ الأخيرةِ من غبطةٍ ونشوةٍ وسيلٍ عارمٍ من المسرّاتِ يقيناً يبعثُ الحياةَ لمن في القبورِ، وإذ بجدولِ قلبي العذبِ الرقيقِ أضحى فيّاضاً بأحاسيسَ ما تحدَّثَ عنها أحدٌ قبلاً وراحَ يجرفُ كلَّ التّصوراتِ والخيالاتِ، وكذا هو حالُ روحي النائمةِ بوداعةٍ في أحضانِ الفؤادِ، والّتي ما فتئَتْ تصحو وتغفو وهي تهذي باسمكِ، وكدتُ أرفعُ قلمي وأحملُ أوراقي لأرميها بعيداً، وأقفُ صامتاً في قداسةِ العشقِ، ذاكَ أنَّ الصّمتَ في حرمِ السّعادةِ سعادةٌ لا تجلوها كلُّ همومٍ مجتمعةٍ، وكذلك راودَني خاطرٌ أن أغلقَ قلمي وأصرُّ قرطاسي ريثما تنتهي عاصفةُ السّرورِ الّتي اجتاحَتْ كلَّ كياني، وذلكَ خشيةَ أن تتناثرَ حروفي وتتطايرَ كلماتي، وحينها كيفَ لي أن أجمعَ حروفي وكلماتي؟ وأنّى لي أن أكتبَ بأبجديةٍ رقصَتْ رقصةَ الموتِ، ولكنّي وعلى حينِ غرّةٍ انتشلْتُ يراعي وأمسيتُ أكتبُ لكِ كلَّ ما يعتلجُ بالقلبِ من خفقاتٍ تهتفُ بحبّكِ وبوحٍ يهمسُ باسمكِ بكلِّ أبجدياتِ العالمِ، وبكلِّ لغاتِ البشرِ.

حلمُ أحلامي

إن لقاءَنا الأخيرَ لم يحملِ الكثيرَ من نفحاتِ السّعادةِ بل تنوّعٍ ما بينَ استعادةِ ذكرى الأيامِ الأولى لخطبتِنا وبعضِ الحوارِ البريءِ لنزيلِ كلِّ ما مضى من اختلافٍ في وجهاتِ النّظرِ، وبينَ حينٍ وآخرَ كانت تُشرقُ من ثغرِكِ بسمةٌ تسحرُني وتطيرُ بي إلى أرضِ الأماني، وتلا ذاكَ اللّقاءُ حواراً كانَ ضمنَ أسلاكِ الهاتفِ، وكانَ من القلبِ إلى القلبِ، ولذلكَ شعرْنا أنَّهُ أحلى من شهدِ العسلِ، وأنقى من ماءِ المطرِ وسطعَ تأثيرُ ذاكَ الحوارِ عليَّ، فجعلَ يوزّعُ البسماتِ بأرجاءِ كياني كلّهِ، وحيثُ أنَّ الفرحَ نالَ منّي كلَّ منالٍ، فلقد عزمْتُ أن أستحضرَ اختلافاتِنا السابقةَ لا لشيءٍ وإنَّما لأمنحَ حبّنا مزيداً من القوّةِ والتّوهُّجِ، ذلكَ أنَّ الحبَّ لا يحلو دونَ اختلافٍ وليسَ كما يفهمُهُ البعضُ على أنَّهُ تماهٍ مع الآخرَ.

عصفورةُ قلبي

كنتُ في نهايةِ كلِّ لقاءٍ أو حوارٍ لنا أبحثُ في أغاني العشقِ عن أغنيةٍ تحكي عن حالِنا إلّا أنّي أفشلُ ويكونُ بحثي عبثاً، وأجرّبُ حظّي بدواوينِ الشّعرِ، وأقرأُ آلافَ الصّفحاتِ أملاً منّي بأن أجدَ نصّاً يصوّرُ حبّنا العميقَ، إلّا أنَّ الصّفحاتِ والنّصوصَ كلّها تكونُ شبهَ فارغةٍ، وأعودُ لتذكّرِ كلِّ لقاءٍ جمعَنا وكلِّ حوارٍ ضمَّنا فأؤمنُ بأنّا معاً سنسطّرُ أبدعَ ملاحمِ العشقِ شعراً وأروعَ ألحانِ الغرامِ شدواً، ونهمسُ للأفئدةِ عن الهيامِ والهوى، فيطيبُ الكلامُ وتسمو الأحلامُ وتتبدَّدُ غيومُ الأوهامِ، ويُمسي العمرُ نزهةً لآمالٍ جديدةٍ وأمنياتٍ وليدةٍ تكثرُ في كلِّ لحظةٍ ألفَ ألف مرّةٍ.

حبُّ عمري

لقد بدأتْ تحدُثُ لي أموراً لم تكنْ تحدُثُ قبلاً، ولا أدري ما سببُ ذلك وأوّلُ تلك الأشياءِ أنّي بدأتُ أعتقدُ ولو بشيءٍ بسيطٍ بالأبراجِ والحظِّ، وأنا الّذي كما تعلمين لا أوقنُ بذلك البتّةَ ولَربَّما بدأتُ بالتّأثُّرِ بكِ رَغَمَ أنّا نتطابقُ بهذهِ المسألةِ تمامَ التّطابُقِ، وتعودُ إلى تلافيفِ دماغي ذكرى كلماتِكِ الطّفوليّةِ العذبةِ المفعمةِ بالبراءَةِ المُمتلئةِ بكنوزِ البساطةِ، وإذ ذاك اهتاجَتْ داخلي كافةَ العواطفِ لتُحرِّكَ عواصفَ الحُنوِّ وأعاصيرَ الحنانِ وزوابعَ الرّأفةِ وأرى نفسي ويكأنّي أمٌّ رؤومٌ تُسعَدُ حين تؤمّنُ حاجياتِ صغارِها ويغمرُها السّرورُ – كلَّ السّرورِ – عندما ترى الأطفالَ تنعُمُ بعطائِها، وأنا أخطُّ هذهِ السّطورَ يسري بجوفي شيء من الخوفِ وذلكَ لأنَّ كلَّ مُبدعٍ – بأيِّ مجالٍ – يبحثُ بإبداعِهِ عن أمرٍ يفتقدُهُ ومن خلالِ بحثِهِ تتجلَّى إبداعاتِهِ، وحيثُ أنَّكِ صرْتِ قصيدتي المفقودةَ وحروفي الّتي تبحثُ عمّن يتمّمُها، وأخشى بعدئذٍ أن يموتَ الألقُ بكلماتي فتصبحُ خاويةً من أيِّ مشاعرَ وتُمسي كمثلِ كلِّ الكلماتِ وهي ليستْ مثلَها بشيءٍ، ذلك أنّها لي ولكِ وفقط، ويكفِها ذاكَ شرفاً وفخراً والمجدُ كلُّ المجدِ للحروفِ والعواطفِ التي ضمّتْ قلبَينا تحتَ لوائِها، ذلك أنّا لسنا ككُلِّ العشّاقِ والأحبابِ.

ها أنا ذا أتنقّلُ من طورٍ لآخر في فنونِ الغرامِ، ولا أدري أين ينتهي بي المطافُ، ورغمَ أنّي أكرهُ أن أختمَ رسائلي إلا أنّي أضطرُّ لدخولِ مخاضاً في كلِّ مرّةٍ في سبيلِ ذلكَ، لأنَّكِ حكايتي التي لا نهايةَ لها أبداً، وكلّما طالَتْ أحببْتُها أكثرُ وأكثرُ وأكثر.

2013/5/26

عبيرَ أحلامي

وددْتُ في هذهِ الرّسالةِ أن أجمعَ كافةَ كلماتِ الغزلِ لأنثرَ حروفَها أمامَكِ وأتغنّى بعينيكِ وأترنّمُ بنغمةِ صوتِكِ، وأتباهى بجمالِكِ أمامَ قلبي ويأسرُني ذاكَ الثّغرُ الباسمُ الذي يتوسّطُ فلقةَ البدرِ الّتي تغفو هي الأخيرةُ بدورِها فوقَ جيدٍ لهُ من البهاءِ ما لا عينٌ رأتْ، أمّا حبّاتُ اللؤلؤ التي انتشرَتْ ضمنَ ثغرِكِ فهي رائعةُ الجمالِ، وتفوحُ منها رائحةُ الجنانِ كأنَّها أكمامُ فُلٍّ تعدُ بالكثيرِ الكثيرِ من الشّذى.

لكنْ ما جرى يومَ أمسٍ نثرَ مخطّطاتي للمستقبلِ القريبِ، وبدّدَ النيةَ بأنْ تكونَ هذهِ الرّسالةُ آيةً من آياتِ الغزلِ فاضطررتُ أن تكونَ على هذا الشّكلِ، وأوّلُ ما أودُّ قولَهُ أنّي سعيدٌ ممّا حدثَ وستُعجبينَ من ذلكَ أشدَّ العجبِ، وتسألينَ نفسَكِ: كيفَ لهُ أن يسعدَ بعدَما اتَّهمَني زوراً وبُهتاناً بأنّي أحبُّ سواهُ؟ أيمكنُ أن يكونَ على هذا القدرِ من النرجسيّةِ؟

أنا ها هُنا لأجيبَ على كافّةِ تساؤلاتِكِ.

سُعِدْتُ لأنّي على يقينٍ بأنَّ الحبَّ الذي لفَّ قلبَينا أكبرُ من كلِّ تلك الاتّهاماتِ وأسمى من كافّةِ الترّهاتِ، وأنا أشعرُ بقلبي بمدى حبّكِ لي وأنا لدرجةِ عشقِكِ لن أكونَ أبداً إلا بكِ ولكِ وذلكَ عهدٌ منّي إلى الأبدِ وإذا شئْتِ إلى ما بعدِهِ، ولا يُمكنُ لكِ أن تتخيّلي أنّي أملِكُ نزعةً ساديّةً فكما تعرفين أنَّ الطيبةَ تملكُ عليَّ أمري، وكانَ ما كانَ في سبيلِ إثارةِ غضبِكِ فقط ليسَ إلّا.

بعدَما ما جرى لن تكفيَني حروفُ الرّجاءِ ومفرداتُ الإشفاقِ للتّعبيرِ عن الإحساسِ الّذي يسرحُ بداخلي جامعاً النّدمَ والأسى والسّعادةَ والأسفَ، شعورٌ ما عايشْتُهُ قبلاً ولا قِبلَ لي بهِ، أمّا الأيامُ الّتي تلَتْ فكانَتْ ميّتةً رغمَ تدفّقِ الحياةِ منْها، لأنَّ تلكَ الأيامَ كانتْ خاويةً من كلماتِكِ الطّفوليةِ وتعابيرِكِ الخجولةِ، وكذلكَ لم يعرجْ لأذنايَ بوحُ همسِكِ، وبقيَ القلبُ يتقلّبُ على جمرِ الشّوقِ ويلهبُهُ حرُّ الحنينِ، فأطفئُ حرائقي بدمعاتِ الفؤادِ الّتي تنهمرُ حزينةً مُنكسرةً لا تلوي على شيءٍ سوى البحثُ عنكِ عن صوتِكِ العذبِ وعن وجهِكِ الرّقيقِ عن صورتِكِ الّتي ما فارقَتْ مخيلتي أبداً ولن تفارقَها ما دامَ فيَّ عرقٌ ينبضُ، ويطوفُ بالوجدانِ صدى صوتِكِ ويبعثرُ أوراقَ الذّاكرةِ ليطفوَ لقاؤنا الأوّلُ فوقَ كلِّ اللقاءاتِ وتسمو ابتساماتُنا الأولى فوقَ كلِّ

البسماتِ ويتّحدا سويّاً ليُنتجا أملَ الماضي، وأهوي لأعلى قمّةٍ بإحساسي من قممِ العشقِ ويكبرُ فيَّ حلمُ الأمسِ ليصبحَ حلمَ الأمسِ واليومِ والغدِ، وإذ ذاك تتهافتُ ذكرياتُ المستقبلِ بحضورِ حفلِ زفافِ إحساسي وعاطفتِكِ، وبذاكَ الجمعُ الغفيرُ تتلاشى كلُّ الحروفِ وتصمُتُ كلُّ الكلماتِ وترفعُ الأقلامَ إجلالاً لقداسةِ الموقفِ ويعمُّ الحبورُ والإكبارُ، ذلك أنَّ كثيراً من الأشياءِ لا تستطيعُ النّصوصُ سبرَ أغوارِها، وكلّ ما تستطيعُ القيامَ به هو التّحليقُ بسمائِها والطوافُ بمحيطِها دونَ أن تستطيعَ الوصول.

بتولتي

لَكمْ أكرهُ أن أختمَ رسالتي هذهِ وكلُّ رسالةٍ كتبْتُها لكِ، ذلكَ أنّي أُسَرُّ حين أطلِعُ مَن تسكنُ بقلبي على أسرارِهِ وخباياهُ، وكم يُسعدُني أن أحدِّثَها عن أجزائِهِ وتعريفِها بمحتوياتِهِ، لكنّي سأسلِّمُ للأمرِ الواقعِ، وأختمُ على أملِ لقاءٍ قريبٍ، قريبٍ وأحلى المُنى لأحلى فتاةٍ كانتْ ومازالَتْ وستبقى أميرةَ البناتِ وملكتَهُنَّ.

دمْتِ بوئامٍ ودمْتُ بحُبِّكِ.

2013/6/3

رفيقةُ دربي

أكتبُ لكِ هذهِ الرّسالةَ رغماً عن يدي الّتي لا تريدُ أن تُمسكَ أيَّ قلمٍ وكذا هو حالي الّذي عزمَ على خصامِكِ ومقاطعتِكِ إلى أجلٍ غيرِ مسمًى، وكذلكَ لم يعدْ بمقدوري الاستمرارُ في الصّمتِ لأنّي لم أعتدْ أن أجعلَ من ذاتي سجناً للأكدارِ، وذلك لأجلٍ ما انتهى عليهِ مجلسَنا من ذلكَ الدهاءِ النّسائي، والذي اتَّخذْتِ منهُ ستاراً لإخفاءِ شجونِكِ خشيةَ أن تنتقلَ إليَّ تلكَ الشّجونُ، لكنْ لا يا حبيبتي لقد أخطأتِ أشدَّ الخطأ، فإنّي لأسرُّ أعظمَ السّرورِ حينَ أزيلُ بعضَ الأسى عن الذينَ مِن حَولي، فكيف عندما يتعلَّقُ الأمرُ بكِ وأنتِ التي احتلْلتِ قلبي ورددْتُ على ذلك بأن جعلْتُ أيامَ عمري أجمعُها فداءً لكِ.

ها بتولُ

إنّي أقدِّرُ لكِ حُسنَ النّيّةِ في عدمِ مشاركتي همومِكِ، وذلك لخوفِكِ عليَّ منْها بيدَ أنّكِ منعْتِ السّرورَ من الوصولِ إليَّ، وبذلكَ تكونين قد خلقْتِ حاجزاً بيني وبين أساكِ.

في بدايةِ لقائِنا وعندما دخلْتِ بثيابْكِ البيضُ كنْتِ أنثى ملائكيةً وازدانتْ بكِ عيناي، ولأجلِ ذلك دنتْ منْكِ أشدَّ الدنو، وراحتْ تتلو آياتِ الجمالِ وتُرتِّلُ كلماتِ البهاءِ، غيرَ أنّكِ لم تعي تلاوتَها وترتيلَها، وفيما بعدُ راحَتِ الكلماتُ تسري بيننا بكلِّ عذوبةٍ ورقّةٍ، وكأنَّها فراشاتُ الزّهرِ تترقرقُ في النّسماتِ، وإذا البسماتُ تفيضُ منّا كفيضانِ أنهرِ الرّبيعِ فيُزهرُ أيلولُ ويُورقُ تشرينُ وينضحُ الشّذى بالآفاقِ وتتطايرُ العطورُ لا تلوي على شيءٍ، وذلكَ حينَ يغمرُها عبيرُ همساتِنا وتعبقُ الآمالُ بالذّكرياتِ وتفوحُ رائحةُ الذّكرى من أملِ الأيّامِ القادمةِ وكذلكَ استبدلْتُ ساعاتي بثوانيها نبضاً يبوحُ باسمكِ، وأيضاً آنَ أوانُ قلبِكِ من أجلِ الإيناعِ تحتَ شمسِ حبّي والنّطقُ باسمي في ظلِّ عظيمِ الودِّ الذي وهبتُكِ إياهُ ولا لشيءٍ بل من أجلِ الحياةِ فقط، لكن ما الّذي حصلَ بعدَ ذلكَ لا أدري وجُلُّ ما أذكرُهُ أنّي سألتُكِ عن سببِ تكدّركِ في ذاكَ اليومِ، وما كانَ منكِ سوى أن أعتلَ مزاجَكِ وتبدّلَ طبعِكِ، ورحتِ ترمينني بنبالِ كلامِكِ ورماحِ ردودِكِ، فمزّقتني الأخيرةُ شرَّ ممزّقٍ، وقطّعت أوصالي أكلُّ هذا لأنّي أردْتُ مساعدتكِ؟

أيكونُ جزائي بهذا القدرِ من القسوةِ؟

ما الّذي اقترفَتْهُ يداي حتى ألقى منكِ ما لقيتُ؟

أهكذا يكونُ جنى مَن أرادَ الإحسان؟

وهل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ؟

ورغمَ كلِّ بطشِكِ وجبروتِكِ غيرَ أنّي تمالكْتُ نفسي وحضنْتُ جراحي المُثخنَةُ الفائرةُ بالدّمِ وكابرْتُ أشدَّ المكابرةِ، وبقيتِ البسمةُ تزيّنُ وجهي وفي داخلي خِلتُ نفسي عصفوراً مذبوحاً يرقصُ من شدّةِ الألمِ، ولم أُشعِرْكِ بشيءٍ البتّةَ وبقيتُ مُنتصِباً شامخاً، وما فتئَ فؤادي ينزفُ، بيدَ أنّي كالأشجارِ دائماً وأبداً أموتُ واقفاً وحينما حلَّ وقتُ الرّحيلِ لمَمْتُ جراحي، وحملْتُ آلامي ودمعي يداعبُ مقلتي فأمنعُهُ من الهطولِ كي لا يُفتضحَ أمري وعويلُ قلبي ملأَ كلَّ كياني، ورحلْتُ عنكِ وأنا أودِّعُ ذاتي ويعتصرُ مفرداتي حزنٌ شجيٌّ وحالما غادرْتُ منزلكِ عزمتُ على بترِ وصالِكِ إلى أن تلتئمَ جروحي وتُشفى ذاتي، ودائماً ما كانَ القلبُ يحثّني على الصّبرِ، وقال لي ذاتَ مرَّةٍ: إنَّهُ لشيءٌ عظيمٌ ذلك الّذي أقدمَتْ عليهِ من جحودٍ، فقلتُ لهُ: وما الّذي دعاكَ لتحضَّني على الصّبرِ فردَّ عليَّ، وهو يخفقُ بحرارةٍ: ألمُنا وأملُنا الوحيدُ أنّنا نحبُّها ويكمُنُ سرُّ عزائي بأنّها لا تعرفُ.

12/6/2013

سلامٌ لأرقى زهرةٍ بحياتي، وكلُّ الحبِّ لأنقى شهقةٍ بمماتي ولكِ بعدُ الأبدِ كلماتي، إليكِ يا عبقَ الرّوحِ أكتبُ هذهِ الحروفَ والقلمُ بيدي يرقصُ من شدّةِ الفرحِ الّذي يعصفُ بداخلي، وإن قلتُ لكِ يا بتولُ بأنّكِ سرَّ مسرّاتي أكونُ قد كذبْتُ ذلكَ أنّكِ حياتي بأسرِها، وكم هي الحياةُ حلوةٌ بكفاحِها ونضالِها، وإن قُلتُ لكِ بأنّكِ ملاكٌ أكونُ بكلِّ صدقٍ ظالمٌ للملائكةِ، فأنا أهواكِ رغماً عن الأيامِ والظّروفِ وأنتِ تحبّينني رغمَ كافّةِ خطاياي، فكيفَ يُمكنُ لملاكاً أن يعشقَ بشرياً، لقد أخطأَ العاشقون حين نعتُوا عشيقاتِهم بالملائكةِ في سبيلِ الغزلِ، وكانَ الأجدرُ بهم أن يلتمسوا من الطّبيعةِ رحيقَها ومن السّماءِ شهدَها ليسكبوهُ في دنِّ الحروفِ ويُلقوهُ بآذانِ حبيباتِهم لتشتهيَ الفتياتُ أن تلثمَ حافّةَ الدنِّ لتصيبَ أكبرَ قدرٍ من النّشوةِ، وإذ ذاك تحتفي النّفوسُ وتطربُ الأفئدةُ وتتراقصُ الظّلالُ وتشدو القلوبُ محلّقةً في سماءِ الحلمِ، وتتموسقُ الأمنياتُ في رحمِ الفكرةِ لتخرجَ أطهرَ وليدٍ ألا وهو الحبُّ الذي تغنّتْ به الحناجرُ.

حينَ يحبُّ الإنسانُ يسمو ويطيرُ ويُصيبُ عينَ النّقاءِ ويلفُّهُ البهاءُ ويغمرُهُ الهناءُ، وأنا أحببْتُكِ أيّتُها البتولُ بكلِّ ما فيَّ من عواطفَ، فنزلَ بي النّقاءُ وضمَّني البهاءُ وفاضَ منّي الهناءُ – كلُّ الهناءِ – وبعدَ شغفي بكِ أضحَتْ ساعاتي بسماتٌ، واختصرْتُ أيّامي لتصبحَ ومضاتِ فرحٍ.

مذْ عرفْتُكِ يا صافيةَ الرّوحِ وصفيّتُها صرْتُ أبْدَعُ، صرتُ أنقى وأنتِ يا نورَ العيونِ حدثَ لكِ كلُّ أمرٍ حسنٍ فصرْتِ أبهى وأشهى، لقد أضحيتِ أحلى وأمسيتِ أروعَ، وعندما يحِلُّ المساءُ يجيءُ البدرُ بنورِهِ وضيائِهِ، ليلتمسَ منكِ بعضَ الجمالِ الإلهي الذي خصّكِ اللهُ بهِ.

وها هي ذي أحزاني تفرحُ حينما يضمُّنا حوارٌ أو لقاءٌ، وتتحوّلُ آهاتي إلى بسماتٍ وأنا بقربِكِ وأنتِ بقربي وتزدانُ بكِ مفرداتي وأنهلُ من بحرِ الهُيامِ حروفاً أرسمُ بها اسمكِ وأرسمُ وجهَكِ بحروفِ النّورِ والسّرورِ وما كانَ لحرفي هذا الألقُ الذي يشعُّ منهُ لولا اللّبُّ الّذي سكنَني والّذي بدورِهِ احتواكِ أشدَّ الاحتواءِ ولا لشيءٍ أبداً بيدَ أنَّهُ اختارَكِ سكينةً ليحيا بالسّلامِ وينعمُ بالوئامِ ويفوحُ بالآفاقِ عطرُ الأحلامِ، وأنتِ سيّدةُ أحلامي ومُنى مناي كيفَ لا وقد حفظْتُ صورتَكِ بشغافِ القلبِ وضياءُ عينَيكِ أنارَ فيَّ العقلَ والقلمَ، أمّا وجنتاكِ فهي بحدِّ

ذاتِها جبالٌ من اللؤلؤ المنضوضِ وحين تضعينَ ذاكَ اللّونَ الأحمرَ عليها تغدو كبركانٍ يقذفُ العطرَ والشّذى، كيف التقى بمكانٍ واحدٍ اللّؤلؤ والشّذى وكلٌّ منهُما من عالمٍ مختلفٍ؟

اللّؤلؤ يطيرُ في الماءِ والعطرُ يسبحُ في السّماءِ.

حبيبتي

لا تخشي إنْ قلّتْ كلماتي فبادِئُ عهدي بكِ لم أكنْ أنعمُ بذلكَ العطرِ الودودِ، وذلك الودّ العطِرُ، ورحْتُ أكتبُ لكِ عن جميعِ الحالاتِ التي مرّتْ بي وصرْتُ أصفُ تأثيرَ كلِّ حالةٍ عليَّ، أمّا الآنَ وقد غمرَني شذاكِ فقد آثرْتُ الصّمتَ على البوحِ، وذلك كي لا أفضحَ أسرارَ العشقِ والرقيِّ اللذينِ نزلا بي بعدما سكنَتني لتبقى تلكَ الأسرارُ في عالمِ الصّمتِ والقلبِ فهي أجدرُ أن تبقى هناكَ، ولن يعلمَ أحدٌ بها سوى مَن تعيشُ به ويحيا بها، وأنهي على أملِ التقاءِ قلبَينا في مكانٍ ما خارجَ كلِّ الحدودِ التي وضعَها البشرُ، دمتِ بحبّي ودمتُ بهواكِ.

2013/6/15

جوهرتي

في هذا الوقتِ لم يعدْ لديَّ ما أكتبُهُ من حروفِ أو كلماتِ ذلكَ أنَّ العلاقةَ الّتي تربطُنا تسمو عن الحبِّ وتعلو عن الوئامِ، إلّا أنَّ سيرةَ الحياةِ لا تتمُّ بدونِ منغّصاتٍ وعثراتٍ، وها هي ذي الأيامُ تكشفُ عن نابِها ونحنُ نحسَبُها تبسمُ لنا بيدَ أنَّ بسمَها بسمُ مَن يتأهَّبُ للانقضاضِ على ضحيّتِهِ، ويكأنَّها ليثٌ سيثبُ بينَ حينٍ وآخرَ نحو فريستِهِ وتجلَّى ذلكَ من ضعفِكِ بأمورٍ سأحدّثكِ عنها لاحقاً، لكنّي أتساءَلُ هاهنا ماذا يُمكنُ أن تفعلي في حالِ اعترضَتْ سبيلَنا عثرةٌ ما؟ فأنا كما تعلمين أسيّرُ الأيامَ كما أهوى وأشتهي سوى أنّي أخافُ عليكِ كلَّ الخوفِ من عادياتِ الزّمنِ ونكباتِهِ، ذلكَ أنّكِ لم تتمرّسي بعدُ بالحياةِ وفنونِها ولكِ منّي العهدُ بأنْ ألقّنَكِ ما حفظْتُ من سِيرِ الأيامِ وحكاياتِ الإنسانِ الأولى، لكنْ ما ينبغي عليكِ هو التفطُّنُ لكلِّ ما يصدرُ عنّي من أقوالٍ وأفعالٍ.

تلميذتي الصّغيرةُ

لا أزعمُ أنّي من العالمينَ العالِمين ولا من مصافي الأنبياءِ الأتقياءِ الّذين يُعلّمون ليُعلِمون غيرَ أنّي فهمْتُ نهجَ الحياةِ وعرفْتُ طباعَ البشرِ وطبائِعِهم وكذلكَ أدركْتُ أنَّ ذرفَ الدّموعِ على الرّاحلينَ ليس سوى رحمةٌ زرعَها البارِئُ في خلقِهِ، ولم يحصلْ ذلك مُصادفةً أبداً، بل لأنّي تركْتُ العقلَ يغوصُ في عمقِ أدقِّ التّفاصيلِ ولا أذكرُ جيداً إنْ كنْتُ حدّثْتُكِ عن قناعتي الرّاسخةِ بأنَّ كلَّ بسيطٍ هو غايةُ التعقيدِ وأنَّ كلَّ معقّدٍ هو البساطةُ بحدِّ ذاتِها.

بوحُ فؤادي

لا يجبُ أن يَخفى عنكِ ذاكَ القدرُ الشّاسعُ بين شتائي وربيعِكِ وكثيرةٌ هي الأقاويلُ الّتي توضّحُ ذلكَ لكنْ ولربّما تُصبحينَ أكثرَ حنكةً ومهارةً منّي في إدارةِ الأيامِ، وسأفخرُ أشدَّ الفخرِ وأرفعُ رأسي إلى العُلا مُكلّلاً بالمجدِ والسّؤددِ، وتُزيّنُهُ أغاني العلياءِ وتراتيلِ السّماءِ وذاكَ حينَ يفورُ اجتهادُكِ على خبرتي، ويغمرُها غمراً تاماً دونَ أن يظهرَ منها أيُّ أثرٍ.

ها هي ذي ذاتي تنثرُ أمامَكِ ذرّاتُ خبرتِها لتنهلي منها ما تشائينَ، وها أنا أكتبُ لكِ بلُغةٍ ما اعتدْتُ أن أكتبَها، وأنتِ أيضاً لم تقرأيني بنصٍّ كهذا لذا أرجو منكِ كلَّ الرّجاءِ أن تتأنّي في

اتّخاذِ قرارِكِ، وكذا القرارُ بالأمرِ الّذي سألتُكِ إيّاهُ فيما مضى من حروفِ هذا الهمسِ، حيثُ أني لا أكتبُ لكِ أيَّ كلامٍ بل همساً ينزوي تحتَ شغافِ القلبِ أو بوحاً يسلُكُ مسلكَ الوحي إلى العقلِ والرّوحِ، وأختمُ بأنَّ المُنى بالتّوفيقِ قد ملكَ عليَّ أمري وما عادَ بيدي حيلةٌ سوى الدعاءُ لقدّوسِ الأرضِ والسّمواتِ ليهديَكِ سبيلَ الرّشادِ.

20/6/2013

روحُ هواي

يحدثُ أحياناً أنْ تجريَ بعضُ الأمورِ الّتي لا نحبِّذُ حدوثَها لمجرّدِ العاطفةِ بيدَ أنّها تحدُثُ لغايةٍ ما وذلكَ ما كانَ في آخرِ فترةٍ حيثُ أنّي قرّرْتُ قطعَ كلِّ علاقاتِنا واحتملْتُ ذلك عدّةَ أيامٍ خِلْتُها جبلاً من الدّهورِ.

وبعدئذٍ امتدّتْ حبالُ الوصالِ فيما بيننا، وضمّتْنا البسماتُ والكلماتُ وأصبحتِ الأيامُ الّتي تضمُّ حديثاً لنا أعراساً للدمعاتِ وكذا هو حالُ السّاعاتِ الّتي غدتْ حيّزاً لالتقاءِ الرّؤى والأفكارِ المُستقبليّةِ، لكنْ لا يخلو الأمرُ من الضّحكاتِ الّتي تكونُ من القلبِ ولا من الصّدماتِ التي تضربُ في الصّميمِ بيدَ أنَّ كلَّ تلكَ الأحداثِ من بسماتٍ وصدماتٍ وقبلَها رؤىً للحاضرِ والمستقبلِ وكذا الاحتفالُ معاً صحبة الذّكرياتِ الرّائعةِ الشّديدةِ الحلاوةِ، والّتي ضمّتْنا بفيئِها بعيداً عن لهبِ شمسِ الشّوقِ، وكلُّ ذلك ولّدَ لنا بضعةَ أيامٍ من العمرِ وهي نوعان:

الأوّلُ يغمرُهُ السّرورُ وتعمُّهُ البهجةُ، والثّاني يلوِّنُهُ الحزنُ بأساهُ، ويبسطُ جناحَهُ على أوقاتِهِ، وبعدَ فواتِ العمرِ لا يبقى منهُ سوى أيامُهُ الحزينةُ الفرِحةُ والسّعيدةُ الشّجيةُ.

الآنَ وبعدَ هذا الكمِّ الهائلِ من الوصالِ أخشى أن يسربَ أو يسري إليكِ بعضُ ضجرِ آناءِ اللّيلِ وأطرافِ النّهارِ، وإن تحقّقَ ما أخشى منهُ فإنّي سأقعُ في حيرةٍ من أمري فلا القلبُ يقدرُ على فراقِ بوحِكِ ولا الفؤادُ يحيا بعيداً عن نبضِ همسِكِ، أو أن يستمرَّ الوصلُ على ما هو عليهِ وينمو السّأمُ ويزدادُ الضّجرُ إلى أن ننفرَ من بعضِنا وهذا ما لا أريدُهُ، وأنتِ أيضاً تكرهين حدوثَهُ ولذا فإنَّ الحلَّ الوحيدَ يكمُنُ بأن نصطنِعَ الأحداثَ في كلِّ فرصةٍ لنا للحوارِ ونبتعدَ كلَّ البعدِ عن التّكرارِ كي لا نصبحَ كعجائزِ النّسوةِ، وبذلكَ يكونُ حوارُنا في كلِّ مرّةٍ مسرحاً لأفكارٍ جديدةٍ ما تحدّثْنا بها مُسبقاً ولا ضيرَ إنِ استرجَعْنا بضعَ ذكرياتٍ جمعَتْنا فيما مضى من أيامِ التّعارفِ الأولى، والتي احتوتْ مواقفَ عفويةٍ كثيرةٍ لسْتُ بصددِ التّحدّثِ عنها.

في صباحِ هذا اليومِ السّبتِ استيقظْتُ والسّعادةُ تملأُ عليَّ كياني ذلكَ أنَّ طيفَكِ زارَني للمرّةِ الأولى في الحلمِ وأتمنّى ألّا تكونَ المرّةَ الأخيرةَ ذلكَ أنّها بمثابةِ ومضةِ حياةٍ تجلّتْ بأفقِ

أيّامي أو ربّما شهابُ ألقٍ مرَّ بي وأضاءَ عليَّ ذاتي، ونثرَ النّورَ بين هالةِ النّهارِ وضياءِ المساءِ.

أمّا اليومُ الّذي تلا فإنَّهُ حملَ لي ولأوّلِ مرّةٍ طبعَكِ الثّائرَ، وأعجبَني أشدَّ الإعجابِ لم لا وهو ما احتوى أيّ ذرّةِ تصنّعٍ أو ارتباكٍ وأكثرَ ما راقَ لي هو قولُكِ لي: لقد بدأتَ تحرقُ فرصَكَ.

حين تسلّلَتْ عبارتُكِ إلى عقلي انبهرَ من فورِهِ ونبضَ بمكانِهِ، وغدا كأنّهُ قلبٌ وإذ بي أحادِثُكِ والشرودُ أخذَ منّي كلَّ مأخذٍ، وانتهى بي المطافُ حينَ عظُم إيماني بكِ كزوجةٍ لا مثيلَ لها بين نساءِ العالمِ أجمعينَ، وبعدئذ اغتالَني سيلٌ جارفٌ من المسرّاتِ والمُنى وعزفَ الأملُ لحنَ المُستقبلِ على أوتارِ الحياةِ، وغرّدَ الحلمُ باسمكِ وشدا الحُبُّ أحلى الكلمِ هُياماً وما فتئ القلبُ يخفقُ لأجلِكِ، ودخلتُ عالماً من النّشوةِ حين استبدلَتْ روحي بالهمسِ هُتافها فهتفت أحبّكِ يا أميرةَ الوردِ والودِّ.

أحبُّكِ يا أميرتي الصغيرة

أحبُّكِ. أحبُّكِ جداً يا بتولُ

22/6/2013

عبيرُ كلماتي

في زحامِ أيامِ الكدِّ والعملِ يزورُني حرفُكِ ويزيلُ عنّي كافّةَ أتعابي، لكنْ منذُ مدّةٍ وجيزةٍ وليسَتْ بالوجيزةِ، حيثُ أنّي شعرْتُ أنّها جبالٌ متراكمةٌ من الدّقائقِ لم يعدْ يأتِني أيُّ حرفٍ منكِ، وصرتُ سجيناً للانتظارِ وأستجدي الأملَ بوجوهِ النّاسِ دونَ أن أرى بوحَكِ ويعذّبُني خفقُ قلبي حين يطلبُ منّي تذوّقَ همسِكِ، فأجرّبُ كلَّ الطّرائقِ الممكنةِ إلّا أنَّ كلَّ السُّبُلِ الّتي تُؤدّي إليكِ تقطّعتْ وزرعَتْ بشتّى العثراتِ وجُلَّ المصاعبِ فأنّى لي أن أصلَكِ أو أحظى بطيفِكِ ولو لبُرهةٍ؟

همسُ بَوحي

ها أنا ذا أتنقّلُ على لهيبِ المعاناةِ وتبتدئُ مأساتي حين أزرعُ بذورَ كلماتي على بياضِ ورقةٍ تخشى حروفي وأقدّمها لكِ على هُدبِ العينِ، فتنبتُ همساتي بعيداً عنّي ولا أعلمُ إنْ كنتِ تعتني بها أم لا؟ ويتلو ذلكَ تقلّبٌ بما يجري حولكِ ولا أستطيعُ أن أحجبَ نفسي عن ذلك أبداً فأتأثّرُ به أشدَّ التّأثّرِ، ويزيدُ على ذلك أنّي أجدُ جُلَّ الحلولِ للمشاكلِ الّتي تعترضُ سبيلَكِ وذلك لأنّي أكِنُّ لكِ كلَّ الحُبِّ، وذاك أيضاً على قلبي أحلى من شهدِ العسلِ دونَ أن أتطلَّعَ لأيِّ ثناءٍ، وتستمرُّ الأحزانُ حين أحترقُ بلظى الشّوقِ الذي أصبحَ وأضحى وأمسى يأكلُني من الدّاخلِ قبلَ الخارجِ، وإذا بسيلِ حنينٍ جارفٍ يُبعثرُني ويشتّتُ أشلائي فتطيرُ متناثرةً وهي تبحثُ بدقائقِ اللّحظاتِ عن طيفِ وجهِكِ ونورِ روحِكِ، ولا تجدُ من ذلك شيئاً أبداً سوى سراباتِ الظّامئ في عرضِ الصّحارى، وتزدادُ أيامي سوداويةً حينَ يخالجُني شعورٌ بأنّكِ تُخفينَ عنّي أمراً ما، وهنا أرجوكِ أن تجيبي على تساؤلاتي إجابةً كاملةً، ذلك أنّ إنصافَ الردودِ تثيرُ فيَّ زوابعَ الشّكوكِ وذاكَ أقصى حدٍّ من العذابِ يُمكنُ أن أحتملَهُ، غيرَ أنَّ زخمَ الكرى يزدادُ حينَ يتبيَّنُ لي أنّكِ لا تمتلكينَ الخبرةَ الكافيةَ بالحياةِ الّتي تضمُّ الأزواجَ، وخاصّةً الاهتمامُ وحيثُ أنّي اعتدْتُ على وجودِ فراغٍ قديمٍ بحياتي، بيدَ أنّي سُررْتُ أشدَّ السّرورِ حين خطبْتُكِ لأنَّ الأملَ كانَ يحذوني بأنْ يتلاشى ذاكَ الفراغُ إلّا أنَّ الأيامَ كشفْتَ لي عن اهتمامِكِ البسيطِ بي ولا يكفني ذلك البتّةَ، فأنا أريدُ منكِ اهتمامَ الأمِّ بمولودِها وإن قلَّ الاهتمامُ منْكِ

لسببٍ أو لآخرَ، فإنّي سأرجعُ إلى سابقِ عهدي قبلَ خطبتِكِ مع احتفاظي بمكانِكِ ومكانتِكِ بقلبي.

في النّهايةِ أتمنّى أن تنتهيَ معاناتي حين ألقاكِ، وذلكَ لأستفهمَ منكِ عن كلِّ شيءٍ اعتراني ولربَّما تكونُ تلك الشّكوكُ مجرّدَ وهمٍ تكوّنَ لديَّ نتيجةَ قلّةِ تواصُلِنا والأسبابُ لذلكَ كثيرةٌ وجُلّها خارجٌ عن إرادتِنا.

بتولُ

اعلمي أنّي ما زلْتُ أحبّكِ ما يعلمُ الله، وسأبقى أُكِنُّ لكِ كلَّ عاطفةٍ نبيلةٍ ما فتئ بقلبي ذاكَ الهواءُ الحارُّ، وفيما يلي من الأيامِ ستبقينَ قِبلةَ أحلامي ووجهةَ كلماتي الّتي تخرُجُ منّي لتسكُنَ بقلبِكِ.

2013/6/24

تتراقصُ الأفكارُ في رأسي ويعرُجُ إليَّ منها أن أفتتحَ رسالتي بسلامٍ ليسَ كمثلِهِ سلامٌ، لأنَّهُ منّي إليكِ ولم يخلقِ الله تعالى مَن هو مثلي ومَن هي مثلكِ.

الآنَ أكتبُ لكِ ويُفصلُنا بعضُ الوقتِ عن اللّقاءِ، لكنّي آثرتُ أن أكتبَ قبلَ لُقيانا لأنَّ الأسبوعَ الّذي مرَّ كانَ ثقيلاً -ثقيلاً جدّاً- كثقلِ جبالِ الأرضِ ذلكَ أنَّ الهمومَ أزهرَتْ بهِ، وقد ركّزْتُ بهذي الكلماتِ الّتي أخطُّ على ذلكَ الأمرِ.

أبتدأُ هذا الأسبوعَ بتوتُّرٍ منكِ بسببِ ترقُّبُكِ صدورَ نتائجِ الامتحانِ الّذي قدّمْتِهِ في وقتٍ سابقٍ، وقد تحقَّقَ لكِ النّجاحُ وإنّي لأتمنّى ومن صميمِ عُمقي أنْ يكونَ نجاحُك هذا بادرةَ نجاحاتٍ تحقّيقينها في القادمِ من الأيامِ، أمّا سوءُ الفهمِ الذي حصلَ فأنا المُلامُ الوحيدُ ذلكَ أنّي صوّرْتُ نفسي أبا زيدٍ الهلالي ولستُ منهُ بشيءٍ، وإذا بالواقعِ يكشِفُ زيفَ ما ادّعيتُ، وفي أيامِ الأحدِ والاثنينِ والثّلاثاءِ لم يُكتَبْ لنا أن نلتقيَ بكلماتِنا، ولا حتّى بأناشيدِ الحبِّ الّتي تجمعُنا، وكانَ نتيجةُ ذلكَ تسلُّلَ بعضِ الشّكوكِ إليَّ والّتي ولّدتْ بداخلي الأرقَ وجعلَتْ نهاري مهموماً مُكدّراً، أمَّا راحةُ اللّيلِ فغدَتْ شقاءً مقيماً، إلّا أنَّ يومَ الأربعاءِ حملَ لنا ومضةَ بوحٍ ولكنْ للأسفِ الشّديدِ زادَ ذاك البوحُ من تكاثُفِ غيومِ البؤسِ فوقَ أيامِنا، وذلكَ عندما شكا كلٌّ منّا للآخرِ ما يشكو منهُ، وأقرُّ بأنّي فشلْتُ بإزاحةِ علّةِ شكواكِ وأنتِ كذلكَ فشلْتِ بإزالةِ سببِ تكدُّري وأصبحْنا يومَ الخميسِ فاشِلَين، وكلٌّ منّا يبكي الأيامَ البيضَ التي جمعَتْنا فيما مضى ويحنُّ للضّحكاتِ التي صدرَتْ من أعماقِنا.

الآنَ وأنا أكتب هذه الرّسالةَ يحذوني الأملُ بأنْ نُعيدَ بسمَ القلوبِ إلى الحياةِ بعدَما غفا بعيداً عنّا في الستِّ دهورٍ التي حدّثتُكِ عنها في افتتاحيةِ رسالتي، وسنجلسُ معاً ويلفُّنا الربيعُ بشذاهُ وزهرِهِ، وتتحوَّلُ غيومُ الهمومِ إلى سحاباتٍ تُمطرُ علينا أوراقَ الوردِ وتسمو الأحلامُ على الأوهامِ، وكذلكَ يطيبُ للحمائمِ الاستماعُ إلى همساتِنا، ويشدو اللّيلُ مساءً باسمي واسمكِ، وأيضاً تهبطُ النجومُ إلى الأرضِ لتُزيّنَ مجلِسَنا بألقِها فنزيّنُها بحلاوةِ حبِّنا، وإنْ أتى الجمالُ ليحضُرَ لقاءَنا سيعودُ من حيثُ أتى، وهو منكسرٌ حزينٌ ذلكَ أنَّهُ سيلقى في بوحِنا ما يفوقُهُ جمالاً وألقاً.

أمَّا بالنسبةِ لي فقد جهّزْتُ كلَّ همومي السّابقةِ والقادمةِ لأحضِرَها معي وأحرقَها في محرابِ الحبِّ الذي وحّدَ قلبَينا ليزدادَ توهُّجاً ونوراً، وبذلكَ أكونُ قد انتهيتُ من الأكدارِ إلى زمنٍ ليسَ بقصيرٍ، وتأكّدْتُ مِن أنَّ الأيامَ القادمةَ ستُلهِبُ الاشتياقَ والحنينَ، لأنّي سأعمدُ إلى شحِّ الوصالِ، وليسَ لشيءٍ بل تماشياً مع الواقعِ، وأيضاً لأنَّ ليسَ كمثلِ الشّوقِ والحنينِ شيءٌ يزيدُ حلاوةَ العشقِ.

وأنهي وفيَّ انتظارٌ متلهّفٌ لرؤيا همسِكِ وسماعِ بسمِكِ، ذلكَ أنّي واثقٌ تمامَ الثّقةِ أنَّ ندرةَ وصالِنا هي أحدُ الأسبابِ الّتي أدّتْ إلى تكدُّرِنا فيما مرَّ من دهورٍ، وإلى أجملِ لقاءٍ ذلكَ أنَّ للقاءٍ بعد التّجافي لذّةٌ خاصّةٌ.

بتولُ...

إنّي هائمٌ بكِ رغمَ السّنينَ والدّهورِ والعصورِ، ودمْتِ بقلبي حبيبةً وسكينةً ولن ينازعَكِ أحدٌ عليهِ البتّةَ وسأبقى دائماً وأبداً أحبُّكِ.

2013/6/28

ها بتولُ

ها هي ذي كلماتي تعودُ إليكِ بعد انقطاعٍ ليسَ بطويلِ الأمدِ، ولكنَّ هذهِ المرّةَ سيكونُ برسالتي هذهِ الكثيرُ من العتابِ واللّومِ وأنا الّذي عوّدْتُ نفسي على عدمِ السّكوتِ عن الأمورِ الّتي تصدُرُ منكِ ولا أحبّذُها أبداً وذلكَ لأنّكِ أحلى نغمةٍ بلحنِ أيامي.

وأبدأُ منْ حيثُ انتهى آخرُ حوارٍ لنا وفيهِ كنّا قد تعاهَدْنا على استمرارِ الوصالِ بشرطِ اصطناعِ الأحداثِ كي لا يسربَ الضّجرُ إلينا، لكنْ حدثَ العكسُ وانقطعَ التّواصُلُ فيما بينَنا ستّةَ أيّامٍ خِلتُها ستَّةَ قرونٍ دونَ أن أدريَ ما السّببُ؟ وحينَما حادثْتُكِ حدّثْتني عنِ الدّلالِ، وأنَّهُ راقَ لكِ بهذهِ الفترةِ، حقيقةً أنَّ الغنجَ يليقُ بكِ لكنْ، ما الّذي دعاكِ لتعاهدِيني ذاكَ العهدُ، هذا سؤالٌ أتركُهُ لكِ برسمِ الإجابةِ!

والأمرُ الثّاني عندما نطقَ لسانُكِ بعبارةٍ "لقد مللْتُ منكَ" منذُ بدايةِ تسلُّلِ الضّجرِ إليكِ عالجْتُ الأزمةَ بأنْ نتلافى التّكرارَ ونصطنِعَ أفكاراً لحياةِ المُستقبلِ، وإذ بكِ بعدَ غيابٍ شاقَني تتفوّهين بتلكَ العبارةِ بدلَ أن تبادليني آياتِ الصّبابةِ أو مفرداتِ الشّوقِ، ولو كانَ أحدٌ غيري لأوجدَ مشكلةً عظيمةً عِظمَ الجبالِ، ذلك أنّا مقدمَينِ على زواجٍ خالدٍ أبدَ الدّهرِ لا علاقةَ سنةٍ أو بعضَ عامٍ إلّا أنّي مختلفٌ عن النّاسِ فأطمَئِنّ فإنّي قد أحتملُ طيشَ المُراهقاتِ إلى أبعدِ حدٍّ يُمكنُ أنْ تتصوّريهِ، لكنْ أكثرُ ما أثارَ استيائي هو نعتُكِ لي بالغريبِ وخاصّةً أنَّ نبرةً حملَتِ الذمَّ أكثرَ من المدحِ.

مضى على تعارُفِنا أكثرُ من مئتي يومٍ وما زلْتُ غريباً عنكِ!

سبرْتُ أغوارَكِ وعرفْتِ خفاياي وما زلْتُ غريباً عنكِ!

دخلْتُ عالمَكِ وولجْتِ قلبي وملأته حبّاً وما زلتُ غريباً عنكِ!

ليسَ هذا وحسبُ بل أدهشْتُكِ حقّاً، أنتِ الّتي قلْتِ ذلكَ، ويكأنّنا نتحادَثُ لأوّلِ مرّةٍ لكنْ أوَلمْ يمضِ على التقائِنا أكثرُ من نصفِ عامٍ؟

أيْ بتولُ لكِ كلُّ الحقِّ بأنْ تتحفّظي على موقفِ أهلِكِ، لكنْ هناكَ حقيقةٌ لا يستطيعُ أحدٌ مِنّا إنكارَها، وهي أنّي لم أعرفْ بعدُ طبعَهم وطبائعَهم فكيفَ لي أن أقدّمَ لهُم الحبَّ على أطباقِ

النّفاقِ، بيدَ أنّي أُكنُّ لهم أسمى احترامٍ وأرجو أن تعلمي أنّي لا أبيعُ العواطفَ المزيّفةَ لأحدٍ، وبهذا الخصوصِ فقد أوكلْتُ لقلبي هذهِ المهمّةَ، فليحبْ مَن يشاءُ ويكرهْ مَن يشاءُ، وليخبرْهُ بذلكَ أيضاً وقبلَ أن أختمَ أودُّ أن أنوِّهَ إلى فارقِ العمرِ الّذي يفصلُ بين شتائي السّابعِ وشتائِكِ الأوّلُ، وأخشى أن أقولَ لكِ أنَّهُ يتوجَّبُ عليكِ احترامَ هذا القدرِ من الأيامِ.

ختاماً ما كانَ ينبغي لكِ فعلَ ما فعلْتِ وبصدقٍ لقد ولّدَ فعلُكِ هذا بعضَ شكٍّ لديَّ بأنَّ هناكَ مَن يُؤثِّرُ عليكِ، وإنْ كانَ هذا صحيحاً فالويلُ والثبورُ ذلك أنّي حذّرْتُكِ من الإنصاتِ للآخرينَ، ولْيكُنْ لديكِ إيمانٌ كاملٌ بأنّي أكِنُّ لكِ خالصَ الودِّ، ولولا ذلكَ لمَا حدَّثْتكِ بهذا الشّأنِ وأيضاً فأنا أخافُ عليكِ وعلى نفسي كلَّ الخوفِ من تشدُّقِ الآخرينَ، وهو ليسَ شأنُهُم أبداً ويجبُ أن تدركي ذلكَ ومهما كانتْ صفةُ المُتحدِّثِ.

وإلى حوارٍ جديدٍ أو رسالةٍ جديدةٍ مع فائقِ ودّي ومُنتهى حُبّي ودوماً لكِ أرقُّ المُنى.

30/6/2013

بهجتي الحلوةُ

أعودُ لسابقِ عهدي وأفتتحُ رسالتي بسلامٍ أبعثُهُ لكِ مع هديلِ الحمائمِ مَطلعَ كلَّ صباحٍ، وتلقيهِ عليكِ النّسماتُ برقَّةِ الفراشاتِ، ولن يغيبَ عنّي أن أحمِّلَ الهديلَ والنّسماتِ سلاماً مُضرَّجاً بالعبيرِ وينضحُ الشّذى من خلالِهِ لِمَن رعى طفولَتَكِ.

في آخرِ همسٍ كنّا قد تطرّقْنا إلى مكانةِ أهلِكِ لديَّ وأدهشَكِ بَوحي حولَ ذلكَ، ولا تقلقي فأنا إنْ لم أظهرْ أيَّ ودٍّ اتجاهَهُم، فهذا لا يعني أبداً أنّي أتمنّى لهُم البؤسَ والشقاءَ أو أضمرَ لهم شرّاً أو حتّى أصبو لتحقيقِ غايةٍ ما منهم، لا بل على العكسِ فإنّي أرجو أن يسودَ الخيرُ بأيامِهم القادمةِ، وإن يحدثْ وقصدوني بخدمةٍ ما سأسعى جاهداً لتلبيتِهم وما لي أيُّ هدفٍ منهم، أمّا أنتِ فأمرٌ آخرُ بعيداً بعدَ الشّمسِ عن الأرضِ، وذلكَ لأنَّ قلبَينا تحابَّا وروحَينا تآلفَتا وولجْنا سويّاً إلى سدرةِ الهيامِ ومُنتهى الغرامِ ولم يعدْ يعنينا كلامُ البشرِ.

حملَتِ الأيامُ الماضيةُ خبراً سيئاً لنا وهو إصابةُ أحدِ أقربائِكِ بإصابةٍ خطيرةٍ نتيجةَ العنفِ العنيفِ السّائدِ في بلدِنا، وكم أخشى وأخافُ كلَّ الخوفِ أن يمسسِك ضررٌ، وأنا الّذي أذكرُكِ عندما أغضبُ لأطفِئَ حرَّ غضبي، وعندما أُسعَدُ أشدو باسمِكِ فيحلو طربي وأيضاً حينما تشتدُّ الأزماتُ وتتكاثرُ الهمومُ يسري لذكرايَ أنّكِ معي فتنجلي كُربي وكذلكَ يطوفُ بالوجدانِ عشقُكِ، ويصدحُ الفؤادُ بحبِّكِ ويعلو صوتُ الحبِّ من أعماقِ أعمَاقِ قلبي، وحينَها أوقنُ أنّكِ قدري وأربي وأملأُ الأيامَ القادمةَ علماً وعملاً لأُكمِلَ بصحبتِكِ يا حبيبتي دربي.

يطيبُ لي الآنَ النّزولُ عندَ رغبةٍ لكِ حدثّتني عنها فيما مضى من ابني سمير وهي أن ننظمَ أوقاتَ تحادُثِنا وذلكَ لأجلِ أن نستحضرَ مزيداً ومزيداً من الحنينِ، لكنْ يجولُ بخاطري سؤالٌ وهو إذا قيّدْنا بوحَنا بأوقاتٍ محدّدةٍ، فكيفَ لنا أن نضبطَ دفقَ العواطفِ منّا؟ خاصةً أنَّ حبَّنا بدأَ كغيومِ الخريفِ متناثرةً فكيفَ بهِ عندَما يحلُّ الشّتاءُ؟ إلّا أنّي أجدُ متنفّساً لي من خلالِ الرّسائلِ الّتي أخطُّها لكِ، وفيها يتّكِئ الحرفُ على الحرفِ من عظيمِ الحبِّ الذي يفيضُ من قلبي، وكذا يلتحمُ الجرحُ بالجرحِ حينَ تُقدِم أذيّتي بجهلٍ عابثٍ، سوى أنَّ الطّابعَ الغالبَ هو حروفٌ عطِرةٌ بالودِّ، مفعمةٌ بالهناءِ، مُكلّلةً بالرّضا، يفيضُ الأملُ من نقاطِها، وتنبعُ البسماتُ من أجزائِها، ولتزهرَ الضحكاتُ بتفاصيلِها، وينتشرَ العبيرُ بنفسِ قارئِها، وتكادُ تُضيءُ من

شدّةِ صفائِها، ويعطِّرُها نقاءٌ ما بعدَهُ نقاءٌ، أمّا بالنسبةِ لكِ فإنّكِ لم تتقني بعدُ كيفيةَ بعثِ الحياةِ في الحروفِ أو حتّى مجرّدِ الرسمِ بالكلماتِ، وجُلَّ ما أخشاهُ أن تفيضَ منكِ بعضُ مشاعرٍ، ويسري بها النّسيانُ دونَ أن تصلَ إليَّ، ولذا أرجو منكِ أن تبعثي لي أيَّ فيضٍ لمشاعرِكِ بأيِّ وسيلةٍ، ولو حتّى برسالةٍ نصّيةٍ قصيرةٍ تحملُها شبكةُ الهاتفِ النقّال لي، فأنتشي بها وأقبِلُ على الحياةِ بأملٍ ونشاطٍ، وأتلقّاها كما يتلقّى الرّسلُ الوحيَ، عليهم أرقُّ وأزكى سلامٍ.

وبهذا أكونُ قد وصلْتُ لختامِ رسالتي هذهِ، ولم يبقَ لديَّ سوى أن أتمنَّى لكِ الخيرَ كلَّ الخيرِ، وعهداً منّي سأقدِّمُ لكِ خالصَ حُبّي، وسأخلِصُ لحُبِّنا مهما اشتدَّتْ حولي حلكةُ الظّروفِ، وأرجو أن تعلمي أنّي لا أريدُ سواكِ زوجةً في الوجودِ وسأبقى دائماً حبيبكِ خالدٌ وليضجرَ الزّمانُ من مناداتي لكِ بحبيبتي.

2013/7/10

حبيبتي

مضى وقتٌ طويلٌ بين آخرِ رسالةٍ لكِ وهذه وذلكَ لأجلِ ما قالَهُ أحدُهُم عن نصوصي لكِ وهوَ أنّي أبوحُ بأسرارِ قلبي، ويكأنّي في مجلسِ اعترافٍ أمامَ الملأ، وذلكَ عكسُ ما أتمنّى حيثُ أنّي أودُّ أنْ تكونَ رسائلي بَوحُ فؤادٍ يجلو الغموضَ عن أسراري الخاصةِ، ولكنْ لا بأسَ فليكُنْ قلبي في مكانِ إقرارٍ أمامَ محرابِكِ.

ها هو الزّمنُ يزيحُ أشلاءَ الغموضِ المُتراكمةِ جرّاءَ كشفِ السّتارِ عن مكامنِ نفسي ونفسِكِ، وبانَتْ أمورٌ جديدةٌ في سماءِ حبِّنا وجعلَتْهُ أكثرَ تلاحماً وترابطاً ومتّنَتْ أواصرَهُ، وهذا ما بدا جليّاً واضحاً، في ذاكَ اليومِ عندما حاولِتِ إثارةَ غضبي بذكرِ ذاكَ الشّابِّ الوهمي الّذي عشِقتِهِ سرّاً وأنا ما كانَ منّي سوى أن أنهيتُ الحوارَ بلا خاتمةٍ، ثائراً لكرامتي التي شعرْتُ أنّها اهتزَّتْ، ولولا ذلكَ لكنْتُ حاورْتُكِ حوارَ العقلِ، وتمنَّيتُ لكِ حياةً طيبةً مع مَن تحبّين وتابعْتُ أيامي القادمةَ كما كانتْ من قبلُ عملاً ممزوجاً بالعلمِ، وحدثَ أيضاً خلالَ البرهةِ التي انقضَتْ بين قطعِ اتّصالي ووصلِهِ أن أستغِلَّ الفرصةَ لأكتشفَ أهميّتي بحياتِكِ وبانَ لي أنّي كلُّ شيءٍ، كلُّ شيءٍ.

هناكَ أمرٌ آخرُ أثّرَ فيَّ بشكلٍ كبيرٍ وتمنّيْتُ لو أنَّ السماءَ أطبقَتْ عليَّ بنُجُومِها وأفلاكِها وذلكَ حينَ علمْتُ أنّكِ ذرفْتِ دمعةً كثيرةً إثرَ قطعي للحوارِ.

يا ليتني لم أفعلْ ما فعلْتُ!

نادراً ما يسري النّدمُ إليَّ لكنْ هذهِ المرةُ فعل!

وحينَ عاودْتُ اتّصالي بكِ وكفكفْتُ دموعَكِ ببقايا الّليلِ المُتبقّيةِ ومسحْتُها بكلماتِ قلبي ورحْتُ بعدَ ذلكَ أقدِّمُ اعتذاراتي وأبرِّرُ لكِ ما فعلْتُ ويكأنّي أنا المخطِئُ لكنْ تأكّدَتْ صحةُ القولِ بأنَّ ربَّ ضارّةٍ نافعةٍ، إذ أنَّ بعدَ تلكَ الحادثةِ تفجّرتِ العواطفُ بيننا بشكلٍ ما عهدْناهُ قبلاً وتلا ذلك سمو بكلماتِنا، وبعدها ذابَ سوءُ التّفاهمِ الّذي يحدثُ بيننا ببوتقةِ الاتّفاقِ، وصارَ بَوحُنا ألمعُ من نجومِ السماءِ، وأنقى من برقِ السّنا وكذلكَ أحلى من أحلى شيءٍ في الوجودِ وكذا من الجنى فحبُّكِ هو الذي ملأَ عليَّ حياتي واستبدلَ بالهناءِ أيامَ الشّقاءِ والضّنى فما لي

غيرَكِ وما لكِ سوايَ فعلامَ تفرُّدُ الأنا؟ أوَ ليسَ الحبُّ تشارُكاً وتمازُجاً للأرواحِ؟ فأينَ من ذلكَ كلُّه أنتِ وأنا؟

لستُ بصددِ اللّومِ أو العتبِ، فما جرى بيننا يُعطينا الغنى، الغنى عن الأحداثِ والّتي كانَ لها بعضُ الأثرِ السلبي علينا وذلك لأنّا ما عُدنا مثلَ بقيةِ العشاقِ فنحنُ بالهيامِ الّذي يجمعُنا نكادُ نحيي الماضي والحاضرَ والمستقبلَ في آنٍ واحدٍ شوقاً على شوقٍ وحبّاً على حبٍّ وهذا يكفينا، وحقيقةٌ هو مبتغانا فذلكَ هو عينُ الخلودِ وسأبقى إلى ما بعد بعد الأزلِ أهتفُ أحبّكِ.

10/8/2013

فرحٌ ينضحُ الفرحُ منهُ وكذا سرورٌ يتّكِئ على سرورٍ من هولِ السّعادةِ الّتي عِشتُها لحظةَ دخولِكِ الغرفة الّتي كنتُ قد سبقتُكِ إليها وقد جلسْتِ في أوّلِ الأمرِ بعيداً عنّي إلّا أنَّ قلبي الّذي نصّبَكِ ملكةً على عرشِهِ، دعاكِ إلى قربِهِ فدنوتِ منّي والخفرُ طبعُكِ ولم يكنْ قلبي ليدعوكِ فقد سبقَ أنْ وهبَكِ نفسَهُ لولا أنَّهُ أحبَّ هذهِ المرّةَ أن ينعُمَ بعبيرِ عطرِكِ، وبسحرِ شذاكِ وودّ لو أن يغمرَهُ الأريجُ الذي يفوحُ منكِ لأنّكِ جمعْتِ عطورَ الزّهرِ بجمالِ روحِكِ، أمّا أنا في تلكَ الّلحظةِ فقد استبدلْتُ بالبؤسِ سعادتي وبالحزنِ فرحي وبالأسى سُروري وجاءَني الهناءُ، عدا عن الرّضا الّذي عمَّ ذاتي وبعدَها رُحنا نتحادثُ عن الأيامِ الآتيةِ والغاديةِ وتميّزَ حوارُنا هذه المرّةَ بالواقعيةِ، ورغمَ ذلكَ فقد كانَ رائعاً كلَّ الرّوعةِ تتهامى به الكلماتُ وتنسابُ الحروفُ بهِ بكلِّ رقّةٍ وعذوبةٍ، وبلا أيّ شكٍّ كانَ طابعُ حوارِنا الحبَّ ولا شيءَ سواهُ، فنحنُ سويّاً عشقْنا التحابُبَ فيما بيننا ووصلْنا بهِ حدَّ الإدمانِ لدرجةِ أنّي لا أخلو منكِ وأنتِ كذلكَ.

ولمّا كانَ لهذا الّلقاءِ الكثيرُ من التّحضيرِ فقد جاءَ على أتمِّ وجهٍ، فثيابُكِ كانَتْ بلونِ غيومِ الثّلجِ ناصعةَ البياضِ، وعيناكِ اليومَ لمعَتْ حبّاً وبرقَتْ عشقاً لأوّلِ مرةً وذاكَ هو حديثُ العيونِ، وأيضاً ثغرُكِ الّذي فاحَ بأجودِ الطّيبِ بَوحاً وأنقى العطرِ همساً وحدثَ أيضاً أنْ تفوّقْتِ بجمالِكِ على كلِّ الفتياتِ والنّسوةِ، وكذْتِ تُجارين الحورَ العينَ ببهائِكِ، فكنْتِ أجملَ من الجمالِ وإن قلتُ عنكِ حسناءَ فإنَّ الحُسنَ سيفخرُ بذلكَ، وهو الّذي تعلَّمَ أبجديتَهُ منكِ، فجمالُكِ أقربُ إلى الخيالِ من الواقعِ ولو لم تقرأْهُ عيناي لجزمْتُ أنَّهُ أسطورةٌ، كيفَ لا وهو الّذي جمعَ من كلِّ عالمٍ درّةً فاحتوى رقَّةَ الفراشاتِ وعبيرَ الوردِ وشدوَ البلابلِ وهديلَ الحمائمِ وصفاءَ ماءِ الجداولِ، ومن الّليلِ سحرَ سوادِهِ ومن الصّبحِ أملُهُ فتباركَ من سوّاكِ أنثى تفوقُ الإناثَ أنوثةً.

أتعلمينَ؟

بمجلسِنا ذاكَ ما كُنّا عُشّاقاً أبداً، بل كنتُ أباً يغمرُكِ بدفقِ عواطفِهِ، وكنْتِ أمّاً رؤوماً يفيضُ الحنو والحنانُ من حناياها نحوي وذلكَ أعظمُ الحبِّ وأجلّهُ سموّاً وتناقلَتِ الأحاسيسُ بيننا

بشكلٍ يفوقُ الخيالَ ولشدَّةِ الهيامِ بيننا عدْنا سيرتَنا الأولى أطفالٌ صغارٌ ترسمُ البراءةُ أحلامَهم ويزينُ طقوسَهم الفرحُ ويسودُ المرحُ أيامَهم.

حبّي النّقي

إنْ عكفْتُ على كتابةِ ما يهيجُ بداخلي من عواطفَ أكنُّها لكِ فلن يكفيَني عُمراً واحداً وكذلكَ لن تكفيَني حروفٌ وأبجدياتُ العالمِ ولأجلِ ذلكَ سأعطي الحريةَ لعيوني لتبوحَ بين حينٍ وآخرَ عن أسرارِ تلك العواطفِ ولا بأسَ ببعضِ السّجامِ كرمى لحبّنا، ويحدثُ ذلك كثيراً " دمعٌ من شدَّةِ الفرحِ وضحكٌ من هولِ الأسى " وأنا أخطُ هذه الحروفَ كلَّ ذرّةٍ بجسدي تهتفُ وتصدحُ أحبُّكِ يا بتولُ.

19/8/2013

بقيَ بضعةُ أيامٍ ويتجدَّدُ لقائي بكِ يا درّتي الثمينة، لكنْ قبلَ أن أولجَ بآياتِ الشوقِ لكِ وللقائِنا الآتي أودُّ أن أبدأَ رسالتي بسلامٍ خاصٍّ يختزلُ كمّاً هائلاً من العواطفِ أوّلُها حبٌّ نقيٌّ وآخرُها ودٌّ صفيٌّ، وما بينَ ذلكَ أسرارٌ لا يعلمُها إلا الله.

وبعدُ، ولمّا كان لالتقائنا الأخيرِ ذلكَ الزخمُ العاطفيُّ، وكذلكَ فيضُ الأحاسيسِ الّذي أصابَ وردتي الحنان اللتان ضمتانا بفيئِهما فإنّهُ يتوجّبُ علينا الحفاظُ على هذا المستوى من دفقِ المشاعرِ، وإن سنحَتْ لنا فرصةٌ فإنّا سنرسمُ بها بسماتُ الصباحِ، ونكتبُ همساتِ المساءِ وإن تسنّى لنا أن نلوِّنَ حبّاتِ المطرِ بحبِّنا لمَّا ادَّخرْنا جهداً ونحنُ سويّاً أقمْنا أسسَ الأحلامِ.

للذّةِ لقائِنا الأخيرِ ما عدتُ أشعرُ بنهارٍ أو ليلٍ وتاَه يومي بينَ بسمِ ثغرِكِ ونبضِ قلبِكِ وأيضاً سرى لأذني صوتٌ يشدو تراتيلِ عشقٍ في جنانِ الشّذى، ويطربُ له الوردُ والنّدى وما أحلاهُ من صوتٍ وما أعذبَهُ من ندى!

حبيبتي الأزليّة

ها نحنُ دخلْنا الرُبا كفراشاتٍ، كأطيارٍ، كملائكةٍ – ووصفي ضئيلٌ – وتتهاوى علينا قُبلَ النّجومِ بينَ حينٍ وآخرَ وتغمرُنا سماواتٍ بسُحبٍ عطِرةٍ، وترسلُ لنا الشمسَ برقّةٍ أشعّتَها البديعةَ وتتمايلُ من حولِنا الغصونُ وكذا الفنونُ، رحتُ أرسمُكِ وأنتِ تكتبينِ، صرتُ أغنيكِ وأنتِ تضعين فوقي أكاليلَ البنفسجِ، وكأنّا في جنّةٍ من جنّاتِ ربّي تباركَ في عُلاهُ، ولم نكنْ لنحيا هذا الفردوسَ أبداً غيرَ أنّا أخلصْنا للحُبِّ الذي استوطنَ بين أضلُعِنا، ونحنُ جعلْنا الصدقَ طبعَهُ والوفاءَ نهجَهُ، وكلّما أتى عليه ابنا سميرٍ تراجعَا خاسئَين فحبُّنا كانَ منذُ الأزلِ يسلكُ طريقَهُ إلى الخلودِ.

لم يمرَّ على فراقِنا سوى خمسةُ أيامٍ غيرَ أنَّها بمثابةِ خمسةِ أبحرٍ من الدَّهرِ، وراودَني الحنينُ بشكلٍ أعجزُ عن وصفِهِ وما كانَ منّي إلّا أنْ بدأْتُ بكتابةِ هذهِ الرّسالةِ، والتي يطغى بها الحبُّ على الحروفِ أمّا الشوقُ فراحَ يلهو بي كما يكتشِفُ طفلٌ صغيرٌ تفاصيلَ بلبلٍ عذّبتهُ براءةُ الطفلِ إلى أن يفضي إلى موتي شوقاً إليكِ، وما زالَ سحرُ لقائِنا القديمِ الجديدِ يرسلُ تباشيرَهُ إليَّ، وكلّما حملَتْ لي ريحُ الأيامِ إحدى هذه البشاراتِ عَظُمَ اشتياقي لبهائِكِ وكذا هو حالُ روحي التي تهفو للطّوافِ حولَ روحِكِ، وكذا قلبي الذي يشتهي أن يزرعَكِ

زهرةٌ صغيرةٌ بسويدائِهِ بيدَ أنَّهُ يخشى عليكِ من الوحدةِ ولأجلِ ذلك فإنَّهُ مذْ ولجْتِه للمرّةِ الأولى عكفَ على نقلِكِ من ركنٍ لآخرَ.

وحدثَ ذاتَ مرّةٍ أنّي أدخلتُكِ عيناي فسكبَتْ دمعاتُها كلماتٍ يعجزُ البشرُ عن قراءَتِها وإن حدثَ وتمكَّنَ أحدٌ من قراءَتِها، فإنَّهُ سيغشى من فرطِ السعادةِ ويكون بوح مقلتي أبجدية جديدة نشأتْ بين باء البراءة والبهاء وكذا بين تاء التعفف والتألق وأيضاً بين واو الوله والوجد واللام لام اللين واللذة التي لا تغيب عنّي وأنا أجالسكِ أو أحادثكِ وحتى حينما نتجافى بقصد الدلال وليست اللذة مقتصرة على شعور حسّي بل هي أقربُ ما تكون إلى متعة النجاح وأنا حققتُ روعة النجاح وغايته حين عشقتكِ، ألا يكفي أن قلبي شدا باسمك وروحي بح صوتها وما زالت تهتف وتصرخ وتصدح بأعلى طاقتها يا حبيبتي يا بتول.

21/8/2013

بعدَ سطوعِ شمسِ الحبِّ على قلبَينا وبعدَ تدرُّجِنا بمراحلِ الهيامِ، ها نحنُ ذانِ نصلُ لمرحلةٍ من التّحابُبِ تعجزُ الحروفُ عن وصفِهِ، وكذا تقفُ الكلماتُ خائفةً مشفِقةً من العاطفةِ الّتي تشيعُ بيننا، ولو لم أحطْ علماً بأنّا بشراً لجزمْتُ أنَّ تمتماتِنا سويّاً في جوفِ الّليلِ لا تعدو تسبيحُ ملائكةً أو حديثُ أحاسيسَ ولِهةً، وها هي ذي الأيامُ تُقبلُ مُستبشِرةً حالمةً بأحلامِنا مفعمةً بآمالِنا، وتحملُ بطيّاتِها ما هو أحلى من الشّهدِ وتأتي ليالي الغرامِ بنجومِها الذّهبيّةِ وتنصّبُنا سويّاً ملَكَين للعشقِ، ويمرُّ بنا الأحبابُ جذلِين سعداءُ ويُلقي الشّبّانُ عواطفَهم الجيّاشةَ بمحرابِنا وتهمسُ العذارى بأبهى العواطفِ، وكلٌّ منهم يبتهلُ كي ينالَ مَن يهوى، أمّا نحنُ فبعيدِين كلَّ البُعدِ عنهم، ذلكَ أنّا مشغولون بتزيين لحظاتِنا بضحكاتٍ خفرةٍ وبسماتٍ رقيقةٍ تنبعُ من القلبِ قبلَ أن ترسمَها الشّفاهُ.

وبدأتْ عيناكِ بإرسالِ نبالِ لحظِها لتحجَّ إليَّ وتطوفَ حولَ روحي، ويبعثرُني ذلكَ كما الألمُ يُبعثِرُ غادةً ستصبحُ أمّاً حينَ ينتهي مخاضُها، عندما يكثرُ الألمُ يكبُرُ الشّوقُ وكلّما زادَ ألمي زادَتْ لذّتي، وما تلكَ النّبالُ سوى شعورٌ باطني انبثقَ من فؤادِكِ ليحُطَّ بسويداءِ حشاشتي وجعلْتُ مكانَ حلولِهِ معبداً للأحاسيسِ وقبلةً للمشاعرِ.

سرُّ سعادتي

فيما مضى من أيامٍ ورسائلَ كنْتُ قد حدَّثتُكِ عن ذاتي بشكلٍ دقيقٍ وعرَّفْتكِ على شخصيتي لِئَلّا يبدُرَ منكِ فعلٌ لا أحبِّذُهُ، أمّا في الآونةِ الأخيرةِ فما عادَتْ رسائلي كلماتٌ وحروفٌ بل أضحَتْ قلوباً تنبضُ بحبِّكِ وتسلو في الفسحةِ الكائنةِ بينَ الباءِ والتّاءِ، وتصعدُ على الواو لتهبُطَ جذلةً والهةً بكِ، وفي الّلامِ تجتمعُ حولَ نورِ العشقِ لتسمعَ وتستمتعَ بأرقِّ حكاياتِ الحُبِّ إلّا أنَّ الضّجرَ لا يلبثُ أن يساورَها حينَ تدركُ أنَّ حبَّنا أحلى مِن كلِّ تلكَ الأساطيرِ والحكايا الّتي لن ترقى مهما علَتْ لمستوى ودِّنا، ويكفي الحبُّ فخراً أنَّ اجتمعْنا تحتَ ظلِّهِ وكذا العشقُ الّذي تمَّمَ ذاتَهُ حينَ أمسينا عاشقَين.

أوَ تعلمينَ يا أنشودةَ فرحي أنَّ فيضَ العواطفِ الّذي غمرَني مُذْ عرفْتُكِ جعلَ أيّامَ الواقعِ تمتزجُ بالأحلامِ، أمَّا الآنَ وقد عظُمَ الفيضُ وأصبحَ سيلاً دحرَ الواقعَ لتحُلَّ مكانَهُ ومضاتُ الأحلامِ الّتي تنبثقُ من عتمةِ الدّماغِ، لكنْ ما أحلاها من أحلامٍ يُكلِّلُها البهاءُ ويزينُها الهناءُ

وأنتِ بطبيعةِ الحالِ قبلةَ آمالي، سوى أنّي أودُّ أنْ أحقِّقَ أسطورتي الشّخصيةَ بمحبَّتِكِ وأريدُ أن تنالي شخصيتَكِ الأسطوريةَ برفقةِ قلبٍ ينبضُ باسمكِ وكرمى لروحكِ، وما هذا الخافقُ سوى الّذي يضربُ بينَ أضلعي وأنتِ تقيمينَ به.

بتولُ حقّاً أنّي مغرمٌ بهواكِ ولكِ أنقى المُنى وأصفى سلامٍ وبذلكَ أكونُ قد وصلْتُ لأرجِ الختامِ.

30/8/2013

آهٍ يا حبيبتي!! من فيضِ الحبِّ الّذي دفقَ منّي نحوَكِ، أقولُ آهٍ كي أطفِئَ لهيبَ شوقي إليكِ، فأنا ما عُدتُ أحتملُ تعاقبَ الأيّامِ علينا ونحنُ بعيدَين عن بعضِنا، لكنْ ما غابَ عنّي أنَّ فترةَ خِطبتِنا قد طالتْ، وهذا كانَ له وجهانِ متناقضانِ: أمّا الأوّلُ فتمثّلَ بالسّعادةِ الّتي غمرَتْنا وتغمرُنا، وكم أودُّ أن تطولَ خطبَتُنا مدى الحياةِ ليأتيَ ذلك تصديقاً لكلامِ النّاسِ بأنَّ أجملَ أوقاتِ الارتباطِ هي فترةُ الخطبةِ، والوجهُ الآخرُ تجلّى بحاجتي إليكِ بكلِّ شؤوني الحياتيةِ.

تخيّلي أنّي أشعرُ بمرارةٍ حين أتناولُ طعامَ العشاءِ بمفردي، وأحسُّ بحرقةٍ حين أنتبهُ من رُقادي وحيداً ويجتاحُني لاعجٌ غريبٌ حينما أتحسّسُ عِظمَ حبّكِ بروحي بيدَ أنَّ عينيَّ تجولُ بالمكانِ بحثاً عنكِ دونَ أن تجدَكِ فأتلوّى ألماً وبؤساً، وتزدادُ معاناتي حينَ أذكرُ أنّكِ تخافينَ منّي وتحبّينني بآنٍ واحدٍ فكيفَ تمَّ ذلك؟

عطرَ أيّامي

ها أنا أبثُّ لكِ علّةَ تعاستي وسرَّ سروري، ويضيعُ يومي بينَ ساعةِ فرحٍ حزينةٍ وأخرى يغشاها السّرورُ الشّجيُّ والحلُّ بيدِكِ يا أميرةَ الفؤادِ، والفرجُ منوطٌ بكِ إمّا أن ترحمي مَن تحبّين أو أن يطولَ عليه الأمدُ وهو سقيمٌ.

في الأمسِ حضرْتُ عرضاً مسرحيّاً لملحمةٍ تاريخيّةٍ، وراحَ الرّقصُ يعمَّ خشبةَ المسرحِ، للوهلةِ الأولى شعرْتُ أنَّ تعاستي هي الّتي ترقصُ أمامي غيرَ أن تجلّياتِ الفرحِ راحَتْ تُزاحمُ الأسى على خشبةِ المسرحِ، وفيما بعدُ لم يعدْ هناكَ أيُّ وجودٍ لأيِّ ذرّةِ شجَنٍ، وما سببُ ذلكَ سوى حبُّكِ الّذي سما بذاتي وسلا بوجْدي.

شذى الرّوحِ

إنَّ حبّنا يفوقُ كلَّ قصصِ العشقِ وحكايا الغرامِ، جمالاً ونقاءً ورقّةً، ولن يحدثَ مثلَهُ مهما تعاقبَتِ الدّهورُ، ولِودِّنا قداسةٌ ما بعدها قداسة، سوى أنّي أريدُ أن أزيدَ ارتباطَنا قدسيّةً وعلاءً، وذلك بأنْ نحدِّدَ موعداً لزواجِنا في القريبِ العاجلِ، وذلك لأجلِ أن أتوّجَكِ أميرةً - بارعةَ الحُسنِ -على قلبي وكذلك عروسُ ثلجٍ ناصعةِ البياضِ، كأنَّها عينُ الطُّهرِ وأصلُ العفافِ، أمّا أنتِ فتنصّبيني بما أنتِ أعلمُ بهِ منّي، ولتشهدْ على ارتباطِنا الوثيقِ كافّةَ نجماتِ

السّماءِ، وكلُّ ملكاتِ البهاءِ ويدوّنُه التّاريخُ على حائطِ الأزلِ، وبثقتي هذه أنهي رسالتي وبخالصِ حبّي لكِ يا حبيبتي أختُمها ودمْتِ بوئامٍ.

6/9/2013

ها هي ذي الأيامُ تسيرُ مُتلاحقةً يخرجُ النهار من اللّيلِ ويطلعُ اللّيلُ من النّهارِ ويدنو اقتراباً موعدُ التقائِنا المقدّسِ، ولكنْ وجبَ عليَّ قبلَ ذلكَ أن أنزعَ بقايا اليأسِ الّتي خلّفتْها الأيّامُ بروحِكِ جرّاءَ جريانِها، وذلكَ بأنْ أنثرَ بذورَ الأملِ في ربوةِ نفسِكِ وهل هناكَ أجملُ مِن خيطِ نورٍ يقشعُ حُلكَ الظّلالِ.

حبيبتي بتولُ

إنّا مقدمَين على تأسيسِ مجتمعٍ صغيرٍ كما أسّسَ من قبلُ آدمُ وحوّاءُ مجتمعَهُما، بيدَ أنّي أريدُ أن أضيفَ لمستي الفكريةَ على مجتمعِنا الخاصِّ والأوحدِ ابتداءً بفدائي لكِ بالغالي والنفيسِ ودونَ انتهاءٍ، وقولي في تلكَ اللّحظةِ أنّي بستانُ أحلامِكِ، وأنَّكِ لحدُ همومي ما كانَ من بابِ الادّعاءِ البتّة وقلْتُها والثّقةُ تعمُّ أرجائي.

حبيبتي بتولُ

من المُؤكَّدِ أنّا سنواجهُ صعاباً جمّةً بحياتِنا القادمةِ والحلُّ الناجعُ لذلكَ يكمُنُ بأنْ نتحلّى بالحلمِ والصّبرِ، ولنا بقصصِ الأوّلينَ أسوةً حسنةً وما جاءَ القولُ المأثورُ" في التّأني السّلامةُ وفي العجلةِ النّدامةُ" عن عبثٍ بل عن اطّلاعٍ ودرايةٍ بخبايا الصّعابِ وأسرارِها.

دُرّي النّفيس

إنَّ ما سبقَ وجبَ عليَّ قولُهُ بهذهِ المرحلةِ أمَّا وقد انتهيتُ فإنّي سأدعُ المجالَ لقلبي كي يتمَّ ما بدأَهُ عقلي ولكِ أن تتخيّلي مدى جمالِ بوحِ القلوبِ وهمسِ الأفئدةِ، كلَّما اقتربَ تشرينُ ازددْتُ بِشراً وما عادَتْ تكفيني دموعُ الفرحِ، لأعبّرَ عمّا يجيشُ بصدري من عواطفَ بل إنَّ الفرحَ ذاتَهُ حلَّ محلَّ الأوكسجينَ بدمي حينَ أيقنْتُ أنّي حظيْتُ بكِ وللأبدِ، طبعاً إذا شاءَ ربّي جُلَّ في عُلاهُ، وبرسالتي هذهِ يمتزجُ المِدادُ بالعاطفةِ فتولِّدُ حروفاً تملأُ الأفقَ ضياءً ونوراً وكذا تحوّلَ الخريفُ ربيعاً وكذلكَ تُصرُّ لكي تحوِّلَ الرّحيلَ إلى إقبالٍ.

حبّي الوحيدُ

في القادمِ من الأيامِ سنقطِفُ من السّعادةِ زهورَها لننعمَ برحيقِها ونزيّنَ لحظاتِنا بعبيرِ مطرٍ في جوفِ البوادي، ويسري لسمعِنا هديلُ الحمائمِ إلا أنَّ هناكَ من يُنادي أن هلمُّ يا عشّاقُ وأقبلوا فيأتيَنا العاشقون من كلِّ فجٍّ، وهم يهلّلون ويهتفون في فلكِنا: بلادي بلادي، فحبُّنا للعاشقين وطنٌ وللمتحابّين عدنٌ ومنهم مَن يطمحُ كي يرقى لمستوى هيامِنا، ومنهم ينظرُ لنا بحسدٍ فأرجو من ربّي أن يسلّطَ عليهِ البلايا والمحنَ، غيرَ أنّا نسمو بطبيعةِ الحالِ عن الدّنيا وما فيها لنحيا، فيما بعدُ بنعيمِ العواطفِ وفردوسِ الأحاسيسِ وجنّةِ الحبِّ وعلى أثيرِ المحبةِ والشّوقِ أختمُ رسالتي هذهِ يا حبيبتي يا عطرَ الوردِ يا أنثايَ الملائكيةِ.

10/9/2013

بسمِ حزنِ الأرضِ أفتتحُ رسالتي هذهِ وكم أودُّ أبدأَها بغيرِ ذلك سوى أنَّ الأسى طغى على أنفاسي وما عادَ باليدِ حيلةً سوى أنْ أبُثَّ شجني إلى أقربِ إنسانٍ لقلبي والشّكوى لله.

ما لِهذهِ الأيامِ لا تفتأ أنْ تُرسلَ علينا كثبانَ المصائبِ لتغمرَ واحاتِ شدونا وجنّاتِ فرحِنا، أو حقٌّ علينا أن نتذوَّقَ طعمَ الألمِ أو نحترقَ بمرارةِ الحرمانِ، وما لقلوبِنا الملتاعةُ سوى ذرفِ الدّماءِ والدّموعُ علّها تزيحُ الهمَّ عن كاهلِها وإذ يغشى القلوبَ لونٌ أسودُ قاتمٌ، فيُبعثرُ أشلاءَ شغافِها وينثرُ أجزاءَها في وادٍ سحيقٍ مظلمٍ لا قرارَ له، أمّا العيونُ فتجفُّ بكاءً وتفورُ المقلُ بالسجامِ مُجدَّداً لشدّةِ الشجنِ.

أمَا آنَ لهذا اللّيلِ الشّجيِّ أن ينتهيَ أو يطلَّ علينا قمرَهُ ليقشعَ حلكةَ المآسي الّتي أمطرَتْ كما الرّبيعُ يُرسلُ الودقَ أشدَّ غزارةً من عينِ الشّتاءِ، فإمّا يحنو علينا الحِمامُ بجناحِهِ أو نبقى أحياءَ نكابدُ البؤسَ والشّقاءَ تُعساءَ لا السّعادةَ لنا سبيلاً وكفانا بصيصُ نورٍ في سماءٍ يعبثُ فيها اليأسُ بالأملُ، وما أحوجَني بهذهِ اللّحظةِ والحروفُ تسحُّ من يدي إلى كلامٍ عذبٍ رقيقٍ ينتشلُني من لجّةِ الشّجنِ ومَنْ لهُ هذه الميزةُ غيركِ؟ ومَن سواكِ يا خليلةَ القلبِ وصفيةَ الرّوحِ؟ وهل أجدُ عندَ سواكِ ما وجدْتُهُ عندكَ من حنوٍّ ورحمةٍ؟

لا لن أجدَ البتّةَ وكفاني بكِ قبْراً لمُعاناتي، ألم يتعاهدْ قلبَينا في اللّاوعي على أن يكونا لحدَ الأحزانِ ونستبدلَ بالفرحِ دمعاتِ الرّدى، وللعمرِ أيامُ شجنٍ وومضاتُ فرحٍ عسى أن يأتيَني بعدَ يومي الكئيبُ فُرجةَ سرورٍ سارّةً أو فسحةَ فرحٍ فرِحْ، لكنْ في نهايةِ المطافِ ما ذاكَ البؤسُ الّذي احتلّني سوى حيّزٌ ضئيلٌ يَطغى من حينٍ لآخرَ، فأعودُ لذاتي وأكبحُ جماحَهُ حينَ أذكرُ يا حبيبتي أنّكِ حبيبتي ذلكَ أنَّ الأنينَ تحوَّلَ بحبِّكِ لشدوٍ وكذا الآهُ التي صارَتْ أنشودةَ سعادةٍ وانقلبَ الألمُ أملاً، وفوقَ كلِّ ذلك إيماني الرّاسخُ بأنَّ كلَّ مصيبةٍ هي لي، وليسَتْ عليَّ وذلكَ عينُ الرّحمةِ من خالقي جلَّ في عيائهِ.

وكان لا بُدَّ لي وأنا أخطُّ هذهِ الكلماتِ من التّوجُّهِ إليكِ فقط دونَ غيرِكِ من العالمِين، وما سببُ ذلكَ سوى أنّي أتممْتُ ما ينقصُني بكِ يا أملي في الحياةِ وهواي في المماتِ وغايتي حينَ تصدحُ وتعلو الآهاتُ، وها هي ذي حشاشتي ترسمُ وجهَكِ بخطوطِ النّورِ وشماً يزينُ فؤادَها، بتولُ ما حييْتُ قبلَكِ لأنّي أبدأُ وعندكِ أنتهي، دمْتِ بحنانٍ.

2013/9/20

ها أنا ذا أمتطي صهوةَ الأيّامِ مُجبراً أو مُخيّراً – الأمرُ سيانُ – وأخلّفُ ورائي تلالاً من الهمومِ وأهجرُ ضفافَ الأسى لأمضيَ قُدُماً في هذهِ الحياةِ، لكنْ ما يلبثُ القدرُ أن يُرسلَ نوائِبَهُ لي فأتعثّرُ وأضيعُ أيُّما ضياعٍ، وأتوهُ في عرضِ الفراغِ وأشتهي البكاءَ لأغسلَ بدمعي شقاءً يغشى ما حولي إلّا أنَّ عينيّ لا تهطلُ دمعاً أو دماً بل تُجدبانِ كما الأرضُ الجرداءُ المقفرةُ، فيها ومنها ألمٌ لا أملٌ، وتتوارى من حولي الفرحاتُ وهنَّ واهناتٌ يكسوهُنَّ العجزُ والإيمانُ بعدمِ الحصولِ مرّةً ثانيةً، وتختنقُ بجوفي العبراتُ وتعلقُ بُحّةُ الحزنِ بنبضي، ويخبو ألقي وتكسوهُ الحسراتُ وبعدَ ضغطٍ هائلٍ تنبجسُ دمعاتٌ قلائلُ من المآقي، رغمَ أنّي عصيٌّ على البكاءِ سوى أنَّ عويلَ قلبي ملأَ الأرجاءَ ونحيبُ روحي فاضَ في الآفاقِ وغربانٌ تجوبُ السّماءَ لالتهامِ ذرّاتِ كرامتي وأشلائي وما لي إلّا الصّمتُ.

وإذ بثغرِ دهرٍ باسمٍ يُرسلُ بشارةً بأنَّ الغدَ أفضلُ فينمو فيَّ الأملُ ويسري لذاتي تفاؤلٌ ما بعدَهُ تفاؤلٌ، وتلوحُ بسماءِ وجهي بسمةُ رضا ونسمةُ جذلٍ، واستبدلْتُ بدموعَ الشّقاءِ الّتي اجتاحَتني على حينِ غرّةٍ دموعِ الهناءِ، وراحَتْ ضحكةٌ بسيطةٌ تلوِّنُ القلبَ قبلَ أن تصعدَ للشّفاهِ وتُمطرُ السّعادةُ على بيدائي وتُورقُ الأخيرةُ كما الرّبيعُ يزرعُ الشّذى بالشّغافِ وتتراقصُ بزهوٍ مسرّاتٌ كانَتْ قد غابتْ فيما قبلُ ويفورُ الشّغفُ بالحياةِ، وبالقادمِ من الأيّامِ وتزغردُ من حولي الأزهارُ وتزقزقُ الأشجارُ أمّا الأطيارُ فإنَّها تقفُ مختالةً بجمالِها، فخورةٌ ببهائها وكأنَّها ورودُ الفردوسِ الأعلى ينضحُ العطرُ من ثناياها ويفيضُ العبيرُ من وريقاتِها أمّا أنتِ يا بتولُ فأمرٌ آخرُ وشتّانُ ما بين الثّرى والثّريا، وذلك لأنّي دخلْتُ بصحبتِكِ إلى عالمٍ فوقَ كلِّ طموحاتِ البشرِ وأحلامِهم، بمحبّتكِ حقّقَتُ الثّراءَ العاطفي، وحينَ تلاقى دربي ودربَكِ على سبيلٍ واحدٍ غدوْتُ أكثرَ إصراراً على الحياةِ، وتعلّمْتُ منكِ يا منارتي ما أريدُ وما لا أريدُ، رغمَ كلِّ الثّقةِ التي غمرتُ بها ذاتي وبالرّغمِ من كافّةِ العلومِ الّتي اكتسبْتُها على مرِّ الأيّامِ إلّا أنّي لم أتمكّنْ من فرضِ ذاتي على مَن حولي، وأيضاً ما قدرْتُ أن أبعثَ الضّياءَ في هدفي في هذه الحياةِ، وفيما مضى كانتِ الأقدارُ تتلقّفُني كما الأرضُ تحضنُ الموتى لكن تغيّرَ الحالُ وتبدّلَ.

بتولُ

أرجو أن تعلمي أنّي ما عُدتُ أكتفي بحبِّكِ فقط بل أريدُ المزيدَ والمزيدَ، وكذلكَ سأسعى جاهداً لأستقي من صبِّ أفكارِكِ وأنهلَ من ينعِ رُؤاكِ وكفى بكِ نبراساً للعقلِ والقلمِ أوليسَ هذانِ الاثنان أكبري الإنسان؟ وفقط من أجلِ حبِّنا ستستمرُّ الحياةُ وهذا ختامُ ما خطّتْ يدي بهذا البوحِ الّذي جعلَ ينبعُ ويهاجرُ مِن قلبي ومن سويداءِ حشاشتي ليحطّ بوسطِ فؤادِكِ ومُنتهى أحلامِكِ يا مليكةَ الغرامِ وجُلَّ المرامِ، ودوماً لكِ منّي أحلى كلامٍ وأرقِّ سلامٍ.

2013/9/25

بسمِ ما شاءَ الله من الحبِّ، أفتتحُ رسالتي هذه وبعدُ، لأيِّ ضئيلٍ نالَنا بسببِ أشباهِ الهمومِ التي لا تفتأُ تزورُنا بينَ حينٍ وآخرَ، وكذا نتيجةً لفيضِ العواطفِ الذي شرعَ يفيضُ ويفيضُ إلى هذه اللحظةِ، ولذلك أحسنُ الأثرَ فذاكَ الفيضُ العظيمُ جعلَ ينثرُ السعادةَ على نفوسِنا، ويبعثُ الحياةَ في أحلامِنا وهذا أمرٌ غايةٌ في اللذّةِ، إلّا أنَّ لكلِّ أمرٍ وجهان: ذكرْتُ الأوَّلَ والثاني تجلّى بالأشباهِ.

حبيبتي الرائعةُ

لا يغيبُ عن ذكرايَ أبداً ذلكَ الصباحُ العذبُ الذي منَّ اللهُ عليّ برؤيا شمسِ وجهِكِ، كم كانَ حلواً ولقد احتوى جمالاً أكثرَ من الجمالِ بحدِّ ذاتِهِ، وكذا الوجنَاتُ اللّاتي راحَتْ تنضَحُ لؤلؤاً عطِراً وعبيراً نديّاً وشذىً نقياً، حينئذٍ ما شئتُ المغادرةَ أبداً بل وكرهْتُها أيضاً إلّا أنّي اضطررْتُ في نهايةِ الأمرِ أن أحبو بأرضِ هيامٍ وجنّةِ غرامٍ، وغادرتُكِ طرِباً مُنتشياً ببهائِكِ مسحوراً برقّتِكِ مفتوناً بسحركِ، وبقي القلبُ طولَ النّهارِ يتغنَّى باسمكِ أوَ لستِ حبيبَتَهُ؟ بلى وأميرةَ عرشِهِ.

حبّي المستحيلُ

منذُ لحظةِ قدومي لهذهِ الدّنيا، وأنا أفقدُ عالمي رويداً رويداً وسبقَ أن حدّثتُكِ عنهُ، وإنّي لأصِلُ لقمّةِ السّعادةِ حينَ أجدُ ما فقدْتُ عندكِ فأتمنَّى ألّا تدّخري جهداً لأجلِ ذلكَ، فذلك اللّبُّ الرّقيقُ الّذي يغفو بين أضلعي، بدأتْ تلوحُ بسمائِهِ لدرجةِ أنَّ الألبابَ الرّقيقةَ من حولِهِ بدأتْ تخشاهُ وهذا أعظمُ ما أكرهُ، وكذلكَ النّفسُ الطّيبةُ الّتي سلكَ الغضبُ سبيلَهُ إليها في الوجدِ عجباً ما عادَتْ تحتملُ سذاجةَ البعضِ وحُمقَ البعضِ الآخرَ، فتنفِرُ من الأقاربِ قبلَ الأباعدِ وذاكَ أشدُّ ما أبغضُ.

أبثُ إليكِ يا خليلَتي شكوايَ لنعملَ سوياً على إزالةِ العِلّةِ التي عاجلَني بها زمني، وسينالُني فرحٌ كبيرٌ إذا ما دُعيتُ إلى ما أدعوكِ إليه، كي نُتِمَّ ما ينقُصُنا بذواتِنا أو نذوبُ بروحٍ واحدةٍ وحيدةٍ تتسامى بها الرقّةُ وتفورُ البساطةُ من مآقيها ويغمرُها الحنانُ، ويجلُوها الحلمُ الحكيمُ ويلفُّها الاطمئنانُ والمودّةُ.

في البالِ خواطرُ وأفكارُ لا قدرةَ للحروفِ على سطرِها، وكلُّ رسالةٍ منّي تحتوي نفحاً من تلكَ الأفكارِ، أمّا وقد كثُرتْ فإنّي أتمنّى منكِ أن تحفظيها بمكانٍ يليقُ بها فهي منهجُ حياةٍ عليكِ أن تنهجيهِ إن أردْتِ مواصلةَ العيشِ بذاتي، وكفاني بكِ يا سحرَ العذارى حلماً لذيذاً حلواً لن ينتهي ما دامتِ الشّمسُ تشرقُ وتغربُ بين ابنَي سمير.

حبيبةَ الروحِ أنتِ التي احتوتْ جمالَ الإناثِ وعذوبَتهنَّ، فكيفَ لا أهواكِ؟ بلى وربِّ السّماءِ أحبُّكِ.

3/10/2013

بتولُ

أبعثُ لكِ هذا البوحَ والقلبَ يتخبّطُ بجراحِهِ، حيثُ أنّي أدركُ ألّا قدرةَ لكِ على إزاحةِ المشاكلِ الّتي قد تعصفُ بي وهذا ما كانَ، فمرّتْ بي إحدى بناتِ الدّهرِ وواجهْتُها بجلادةٍ وأناةٍ، ولم أشأ أن أدخلْكِ في أتونِ هذا الصّراعِ ولأجلِ ذلك طلبْتُ منكِ أن تنأَي بنفسِكِ عنّي حينَ أكونُ أواجهُ المشاكلَ وذلكَ من شدّةِ خشيتي عليكِ وعظيمِ حبّي لكِ.

وبعدَما أنهيتُ الحربَ الدّائرةَ مُنتصراً، جاءَني خبرٌ مفادُهُ أنّي طلبْتُ منكِ الخروجَ من أيّامي وأنّكِ لم تلقَي منّي سوى القسوةَ والبطشَ وافتراءَاتٍ أخرى تُدمي القلبَ، لكنْ لم أحتملْ ذلكَ البتَّةَ وعزمْتُ على خصامِكِ وقطعِ الوصالِ بينَنا، وذلكَ كأقلِّ ردِّ فعلٍ عن الظُّلمِ الّذي تعرَّضْتُ له، وإنّي لأعجزُ عن ظلمِ من ظلمَني ويزدادُ الأمرُ تعقيداً مع الّذين أحبُّهم، لكن ما غابَ عنّي أن أستفهمَ الأسبابَ الّتي أدّتْ لحدوثِ ذلكَ والسّببُ الرّئيسُ كانَ عندكِ.

بتولُ

إنّي أرجوكِ إنّي أرجوكِ أن تُعبّري عن استيائكِ أو غضبكِ مِن أيِّ كلمةٍ أقولُها ولا أقبلُ أن تلوذي بصمتٍ يُخفي خلفَ ستارِهِ لواعجَكِ وكذا ينطبقُ الأمرُ على المفرداتِ الّتي تحملُ دلالاتٍ مختلفةٍ، ونحنُ معشرَ الكتّابِ نتفنَّنُ بذلكَ لنُثبتَ أنفسَنا أمامَ أنفسِنا والآخرين، ولكن بعدما تلاشَتْ ثورةُ الغضبِ استجمعْتُ قواي لأحادِثَكِ وأكونَ حليماً إلّا أنّي فشلْتُ بذلك أشنعَ فشلٍ، وانفجرْتُ بوجهِكِ بركاناً لا يعرفُ الرّكونَ أو الرّكودَ، فدائماً صاحبُ الحقِّ أرعنُ ولا يُلامُ المريضُ على أنينِهِ.

عزيزتي

لكلِّ أمرٍ حكمةٌ ما وأنا آملُ أن تأخذي ممَّا حصلَ عبرةً، فأنا أرفضُ وبشكلٍ قاطعٍ أن تبوحي بأسرارِنا للغيرِ، وهذهِ المرةُ الأولى وأريدُ أن تكونَ الأخيرةَ لكي يستمرَّ حبّنا بنسقِهِ التّصاعُدي، أوليسَ هو وليدُ تلاقي روحَينا؟ بلى، فلنسعى جاهدَينِ للحفاظِ عليهِ وصونِهِ من رياحِ الأيّامِ فهي أشدُّ فتكاً من أعاصيرِ الشّتاءِ.

حبيبتي بتولُ

بالنسبةِ لي لم أدخرْ جهداً لإظهارِ نفسي كما أنا بعيداً عن أيِّ تصنّعٍ وتكلّفٍ حتّى لأنّي أحدِّثُكِ بأبسطِ المشاعرِ الّتي تعتريني، أمّا أنتِ فلا زالَتْ لديكِ بعضُ شذورِ حياءٍ وخوفٍ، ولا بأسَ بها فإنّها ستزولُ مع تلاحُقِ السّاعاتِ لكنْ ألا تلحَظينَ معي أنَّ لكلِّ فترةٍ ذهبيّةٍ تمرُّ بنا أختٌ صغرى على النّقيضِ تماماً، ويكأنّا نحتاجُ إلى الخصامِ كي ندركَ قيمةَ الحبِّ الّذي يُضيءُ أعماقَنا.

وهُنا ينتهي ما أحببْتُ قولَهُ في هذا الهمسِ وكلّي أملٌ وتراودُني النّجوى بألّا يتكرَّرَ ما حدثَ في الأمسِ بالرّغمِ من حاجتِنا لهُ إلّا أنَّهُ بطبيعةِ الحالِ يُضني القلبَ ويُدمي النّفسَ وإلى لقاءٍ قريبٍ يأتينا مع مَطلعِ الشّمسِ، أهلاً بأماني غدٍ مُشرقٍ ووداعاً يا أسى وحزنَ أمس.

8/10/2013

بادئ ذي بدءٍ سلامٌ لكِ يطفحُ من شغافِ القلبِ ومن حنايا الرّوحِ وفقط إليكِ يا حبيبتي أخطُ هذا البوحَ على هذا اللّوحِ -لوحِ الخلودِ.

تتالى الأيّامُ وتتعاقبُ الشّهورُ ويصبحُ عُمْرُ حبِّنا ثلاثمئةِ يومٍ وازدادَ ستّةً وتلاحقُني أسئلةُ المقرّبين.

سألَني حكيمٌ كيفَ ترى الحبَّ الّذي يشيعُ بينكما؟

قلتُ: لا أراهُ بل أحيا به وسترونَهُ في أبهى حلّةٍ يتجلّى حينَ نحيا معاً – أنا وأنتِ – وسيملأُ عليكُم الأسماعَ والأبصارَ والأفئِدةَ.

وقالَ عليمٌ: إنَّ لكلِّ أمرٍ وجهان، فكيفَ ستتدبَّرُ أمركَ حيالَ الوجهِ الآخرِ لحبِّكَ؟

قلتُ: نِعْمّا قلتَ يا عليمُ بيدَ أنَّ أخذَ الأمورِ برويّةٍ وأناةٍ يُضفي عليها مزيداً ومزيداً من الثّباتِ بوجهِ عادياتِ الزّمنِ وهذا ما كانَ، فمنذُ بدايةِ حبِّنا والعقلُ هو الّذي يحكمُ.

وانبرى عجوزٌ قائلاً: إنَّ سيرةَ الحياةِ ضعفٌ فقوّةٌ فوهنٌ مقيمٌ، كيفَ لك أن تثبَ فوقَ النّاموسِ؟

قلتُ: أمّا إنْ كانَ جسديّاً فإنَّ للعمرِ حقَّهُ ويجبُ تأديتَهُ، وأمّا الحبُّ فإنَّهُ لا يشيخُ بل يكبُرُ ويعظمُ كلّما مرّتْ عليه السّنونُ، وحبّي كمثلِ غرسةِ نورٍ زرعْتُها في حقلِ شبابي وستنمو لتنشرَ الضّياءَ في الأرجاءِ وستبلغَ عنانَ السّماءِ لتآخي أشجارِ الجنانِ.

وقالتْ إحداهُنَّ: حدّثْني عن حبيبتِكَ.

قلتُ: ما أقولُ، لو كانَ البحرِ مداداً لما كفاني، وهل يُسطرُ حديثُ القلبِ وإحساسُهُ على بضعِ أوراقٍ بيضاءَ، حبيبتي ليستِ الحُبَّ المُستحيلَ بل الحُبّ الحقيقي الّذي يبعثُ الحياةَ في الموتِ، وبها ازدانَتْ أيّامي وسمتْ أحلامي بجمالِها، بجمالِها تغنَّتْ كلماتي ولبهائِها انتثرَتْ بسماتي، لم تجمعْ جمالَ الخلقِ والخُلُق فحسبُ بل جمعتْ من كلِّ طيبٍ أجودَهُ فهي أميرةُ الإناثِ وساحرةُ الحواسِّ، وبسحرِها تاهتِ العذارى وبألقِها انبهرَتِ الحسانُ وحسِبَ الآخرون أنّي بحبِّها حظيتُ بالجِنانِ، نعمَ ذلكَ ما حصلَ.

وتعالى مؤرِّخٌ ليقولَ: صحيحٌ أنَّ للزّمنِ حقٌّ علينا فما الّذي تغيَّرَ بأوقاتِكَ حين أحببْتَ؟

قلتُ: ما أحلاهُ من سؤالٍ، إنَّ حبيبتي والحبُّ قد اتّفقا على بعثِ الحياةِ في ماضيَّ بالرّغمِ من أنَّهُ ركامُ أيّامٍ وتمطرُ سماءَهُ قطراتُ فراغٍ ويسودُهُ الشّتاتُ إلى ما لا نهايةٍ ونجحا بذلكَ فانفتحَتْ وردةُ الرّبيعِ في الأرضِ الجرداءِ وتحوّلَتْ ذرّاتُ الرّمادِ إلى فراشاتٍ زاهيةٍ وخرجَ النّورُ من الزّهورِ وذلكَ جعلَني أتوقُ للعيشِ فيهِ مجدّداً، أمّا أيامُ الحاضرِ فإنّها ولا جرمَ أيامٌ للخلودِ ففي كلِّ يومٍ أُجرِّبُ إحساساً جديداً، تارةً أحضنُ وتارةً أقبّلُ، وحدثَ ذاتَ مرّةٍ أن ضاجعْتُ عاطفةً فولدَتْ لي أملاً متيناً يعبثُ باليأسِ كطفلٍ صغيرٍ ولم يكنْ ليكونَ ذلك لولا الحبُّ وحبيبتي فأنّى يمتري المشكّكون، أمّا في المستقبلِ تتطايرُ الأحلامُ كحورياتٍ في السّماءِ حُرّةً تداعِبُ النّجومَ وأخرى تتوسَّدُ الغيومَ ويغمرُ التفاؤلُ كلَّ لحظةٍ من لحظاتِهِ ويعمُّ الإيمانُ بأنَّ خلفَ كلِّ ظلٍّ ضياءٌ عميقٌ لا قرارَ لهُ.

وأتى منافقٌ وتشدّقَ لما حبها وما حجمُ حبِّها لديك؟

قلتُ: أحبُّها لأنّي بحبِّها تمَّمْتُ ذاتي ولاحَتْ بجمالِها جماليةُ الحياةِ أمّا حجمُ الحُبِّ الّذي أكنُّهُ لها فإنّي إن قلتُ بحجمِ السّماواتِ والأراضي أكونُ قد سلكْتُ مسلكَ الآخرين، فأقولُ أحبُّها بقدرِ النّورِ الّذي في جوفِ السّماءِ وبمدى الصّدقِ في موتِ الشّهداءِ وبحجمِ الكذبِ الّذي يجري بدمائِكم أيُّها المنافقون.

حبيبتي بتولُ بعدَ كلِّ هذا لا أقبلُ أن تسأليني أتحبُّني؟ وجّهي سؤالَكِ لقلبِكِ فهو سيجيبُكِ عنّي وأعودُ للقولِ فليضجرِ الزّمانُ من مناداتي لكِ حبيبتي.

16/10/2013

أحبُّكِ جدّاً وجدّاً وجدّاً

ولو أتممْتُ بقيّةَ النّصِّ على هذا المنوالِ لما وفّيتهُ حقَّهُ للحبِّ الّذي بداخلي منَ الآنَ وصاعداً سأستبدِلُ اسمكِ بحبيبتي وذلكَ كأقلِّ تعبيرٍ عن عظيمِ حبّي لكِ.

يا بتولي

يا حلمَ الحلمِ

يا عطرَ الزّهرِ

يا فرحتي ويا نشوتي

لو أنَّ هناك مقياسٌ لجمالِ الفتياتِ لكنتِ أنتِ يا فراشةَ قلبي قدوةَ الحسناواتِ ومُنتهى الفاتناتِ.

قالَ كثيرون: إنَّها بارعةُ الجمالِ، أمّا أنا فأقولُ إنَّ رائعتي ذاتُ بهاءٍ بارعٍ وزهوٍّ رائعٍ فجمالُها كبحرِ محيطٍ وجمالِ الأخرياتِ كحبّاتِ مطرٍ لا يلبثُ أن يزولَ أمامَ سحركِ الفتّانِ، حلاكِ يا درَّتي كنجمِ الشّمسِ وهّاجاً والباقياتُ من البناتِ نجماتٌ صغيراتٌ يتلاشى بصيصُها أمامَ هالةِ حبيبتي.

غنوةَ القلبِ وأنشودةَ فرحي

ها هي ذي حروفي تشدو هياماً بكِ وحبّاً لكِ، ما بالُ سحرِكِ يا بهيّةَ أسرَني ودكَّ حصنَ غروري، أنّى له الضّربَ بعرضِ الحائطِ معاقلَ الشّممِ لديَّ؟ أينَ تلاشتْ سحابةُ السّؤددِ الّتي غمرْتُ نفسي فيها؟ أيكونُ سببَ ذلكَ موجُ العواطفِ الّذي راحَ يزورُني بينَ حينٍ وآخرَ؟

لا لم أدركْ الحقيقةَ بالشّكلِ التّامِّ، نعم لقد ذهبَ عنّي الغرورُ والكبرُ وما علّة ذلك سوى الفيضُ العظيمُ من المشاعرِ وتسونامي الأحاسيسِ الّذي اجتاحَني على حينِ غرّةٍ، فأنا أقرُّ بأنّي أعشقُكِ بكلِّ ذرّةٍ فيَّ وأهوى كلَّ ذرّةٍ بكِ وأهواكِ بكلِّ ما للهوى من دلالةٍ عاطفيّةٍ كبرى، أمّا حسنْكِ فإنَّ حروفي تتوهُ إن بدأتُ بوصفِهِ وما لي من سبيلٍ سوى الحجمُ الضّئيلُ المُتاحُ لي من خلالِ فرجاتِ الحروفِ ذلكَ أنَّ الكأسَ لا يسعُ بحراً.

وأبدأُ بشعرِكِ السّحري الّذي يسافرُ في كلِّ الدّنيا ويأخذُ قلبي معَهُ أنّى شاءَ، والأمرُ يومئذٍ لكِ إمّا أن تردّيه لي أو تبقيه بأحضانِكِ وهو بكافّةِ الأحوالِ مرهونٌ بعذوبتِكِ ويكرهُ الابتعادَ عنكِ وذلكَ لإيمانِهِ التّامِّ بأنّكِ سكنُهُ وسكينتُهُ ووجهُكِ فلقةُ البدرِ أو أشدُّ حسناً كأنَّهُ كوكبٌ درّيٌّ ذو ضياءٍ عظيمٍ، وبه عيونٌ تباركَ من خلقَها ترمي لحظَها لتصيبَ الرّوحَ بسكرةِ الحياةِ ويزبدُ الفؤادَ عشقاً بكِ يا بتولي، وإذ البحرُ يركبُ مركبُ عشقي ليطوفَ في بحرِ الحلمِ علّهُ يتمّمُ ذاتَه، والجيدُ كأنّهُ برجٌ لأنوارِ الحُسنِ والجمالِ وبحراً لأسرارِ البهاءِ والكمالِ وكفى بهِ نبراساً لكلِّ مَن يتغنَّى بجمالِهِ.

حبيبتي تاهَ الغرامُ ولم يجدْ إلّاكِ جنّةً وسربُ الهيامِ في صحارى الأيامِ، وما وجدَ سواكِ واحةً يأوي إليها فكيفَ بي لا أهيمُ بكِ عشقاً وفيما قبلُ نالَ منّي الولهُ إلى أبعدِ أبعدِ حدٍّ ولن أمُلَّ من قولِ أحبّكِ وأحبّك وأحبّكِ إلى أقصى مكانٍ وإلى مُنتهى الزّمانِ، وحينَ تنفجرُ الأيامُ يعودُ قلبي ليمتطيَ صهوةَ الكلمةِ ويمخرَ عبابَ السّماءِ ويخطَّ بأحرفِ من نورِ أحبّكِ، وتتمطَّى البوادي لتزرعَ في الغيومِ المطرَ ويتساقطُ النّدى ويرسمَ بتساقطِهِ وتلألأهُ جملةٌ واحدةٌ " أحبّكِ بتولُ "

24/10/2013

ما أقولُ وما أكتبُ وحبّكِ يا ربيعَ أيّامي حلَّ بدمي موضعُ الأوكسجينَ هل أكتبُ حروفاً تنضعُ عشقاً؟ أم أرسمُ كلماتٍ تطربُ لها الشّغافُ هُياماً؟

وإن فعلْتُ هذا وذاكَ فإنّي أكونُ قد كسبْتُ شرفَ المحاولةِ ذلكَ أنَّ الّذي بداخلي أعظمُ من أن تكتبَهُ حروفُ لغةٍ بيدَ أنَّ لكلِّ بحرِ موجٍ ولمحيطِ حبّي تيّاراتٌ لا تبوحُ بكافّةِ أسرارِهِ، وما لي سوى الشّدو على ركامِ الأسى مودِّعاً لحظاتِهِ ذلكَ أنَّهُ غادرَني بغيرِ إيابٍ وتركَ لي أياماً تملأُها النّشوةُ صحبةً أغلى وأعزَّ الأحبابِ.

ها هي ذي حروفي تراودُني فهي لا تريدُ أن تكتبَ إلّا عنكِ ولأجلكِ فهي قد وهبَتْني نفسَها فيما قبلُ والآنَ لا تريدُ إلّاكِ قبلةً تنيرُ بها ذاتَها وتتمّ معانيها من جمالِكِ وبهائِكِ يا عروسَ الكونِ ولقلبي نفسُ الرّغبةِ حتّى لأنَّهُ ينبضُ باسمِكِ من شدّةِ الولهِ، أمّا وقد سكنتِ في ذاتي فيحذوني أملٌ مديدٌ أن نبقى سوياً مدى الشّهورِ والدّهورِ ونحنا بحبِّنا قادرَين على ذلكَ.

في كلِّ مرّةٍ أمسكُ القلمَ لأكتبَ شيئاً ما، لا يلبثُ قلمي أن ينزفَ عشقاً ويتوهَ صبابةً بينَ الحنينِ والشّوقِ لكلِّ ما فيكِ من سحرِ الخصالِ وبديعِ الجمالِ وبهاءِ الكمالِ بالرّغمِ من أنَّ الكمالَ بحدِّ ذاتِهِ جدٌّ بعيدِ المنالِ، لكنّي وجدْتُهُ لديكِ فكيفَ لا أتوهُ عشقاً بك، إذا كانتِ النّسوةُ قد قطّعْنَ أيديهُنَّ شغفاً بيوسُفَ، فإنّي أعوذُ ببديعِ السّماواتِ والأرضِ من أن يمسَسْنا ضرٌّ من أعينِ الحسّادِ فأنا حظيْتُ بأروعِ بناتِ حواءَ وأنتِ نلتِ أبهى أبناءِ آدمَ - هكذا قلتِ لي ذاتَ مرّةٍ -، وكم من مرّةٍ استبدلْنا بأسمائِنا أرواحَنا لشدّةِ غرامِنا وهذا ما يعني أن بُعدَ أحدِنا عن الآخرِ يؤدّي لفنائِنا، فهل مرّ على مرِّ التاريخِ حبٌّ كهذا؟ كلّا ما مرّ ولن يمرَّ.

حدثَ ذاتَ مرّةٍ أنِ انقطعَ الوصالُ بيننا سويعاتٌ قلائلُ فما لبثَ أن سرى إلينا الأرقُ محمّلاً بأشباهِ الهمومِ، فما كانَ منّا إلّا أن جدّدْنا الوصلَ بعواطفَ أرقى وحبٍّ أجلٍّ وودٍّ عظيمٍ.

درّتي النّفيسة

يغفو بقلبي إحساسٌ رائعٌ نحوكِ عدا عن الحُبِّ الذي ملكَ عليَّ أمري، ذلك الإحساسُ ما شعرْتُ به قبلاً ولا أعتقدُ سيمرُّني مرّةٌ أخرى، ذلك أنّه إحساسٌ غريبٌ جمعَ الغبطةَ والحبورَ

والألقَ والسّرورَ وزرعَ فيَّ الضّياءَ والنّورَ وأزاحَ عن كاهلي بؤسَ الأيامِ كما وألفيْتُ به الرّاحةَ بعدما لقيتُ النّصبَ جرّاءَ السّفرِ بفتراتِ العمرِ.

تكمُنُ لذّةُ الحُبِّ بالخفرِ الّذي يشوبُهُ ويا لها من متعةٍ إن بدأَ خجلٌ من قلبَين فطرَهما الهيامُ وفتقَ الغرامُ شغافَهما، وهذا ما حدثَ لنا يا حبيبتي الأزليّةَ فكيفَ لا يضيقُ الدّهرُ بحبِّنا ولا يخلّدُنا التّاريخُ عاشقَين نحتَا روعة الحُبِّ في صدرِ السّماءِ ولَكَم أتلظّى احتراقاً وألماً حينَ يقولُ البعضُ: أنّا كالباقِين.

لا أبداً ليسَ كمثلِنا أحدٌ وأنتم أيُّها النّاسُ كفُّوا عن دسِّ مرارةِ الظّلمِ فنحنُ خُلقْنا ورفعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ.

هالةَ روحي

ما عادَتْ تكفني حروفٌ ولغاتُ البشرِ لقولِ أحبّكِ فاعذريني أيّتُها الجنَّةُ السّاحرةُ لأنّي سأسرقُ من كلِّ عالمٍ لغتَهُ، سآخذُ شدوَ البلابلِ وشذى الجنائنِ وأجمعُ رحيقَ المطرِ وأجني عبيرَ القمرِ لأهتفَ وأصيحَ بنبضٍ وبقلبٍ واحدٍ أحبّكِ.

أحبُّكِ بتولُ.

2013/10/31

حبّيَ الأوحدُ

برسالتي هذهِ أخطُّ لكِ حروفاً غاصَتْ في لجّةِ الهيامِ، وسكرَتْ من خمرةِ الحبِّ، بيدَ أنَّه لا بُدَّ لي من أن أبتدئَكِ بسلامٍ ينبعُ من القلبِ قبلَ أن تلفظَهُ الشفاهُ، لأنَّكِ الفتاةُ الوحيدةُ التي حنا عليها وحبا نحوها قلبي لشدّةِ شغفِهِ بها.

جنّتي

في الآونةِ الأخيرةِ ومن عظيمِ هيامي بكِ، راحَ طيفُكِ يملأُ حواسّي، فحيثُما رنوتُ ألمحُ وجهَكِ الملائكيّ، وأينما ولّيتُ وجهي يشرقُ أمامي فجرُ بهائِكِ، وأمّا السّمعُ فإنَّهُ شارفَ على القنوطِ فكلُّ نسمةٍ تحملُ لهُ همسَكِ، وتتناهى الأصواتُ وتتماوجُ ولا يبقى في نهايةِ الأصواتِ سوى نبضُ بوحِكِ، ها أنا ذا أسمعُ صوتَكِ بصوتِ أمّي وأبي وأقراني في العملِ، وأرى وجهَكِ في كلِّ وجوهِ النّاسِ، ولن تنالَ منّي الدّهشةُ إذا حدَثَ في المستقبلِ أن وجدْتُ حلاوةً بطعامي، وهذا الطّعمُ المُمتعُ هو أنتِ يا عزيزتي.

كوكبُ أحلامي

يطالعُني كلَّ حينٍ طيفُ وجهِكِ العذبُ، ويُلقي عليّ الشّوقُ أثقالَهُ، وإنّي لأتطلَّعُ في كلِّ برهةٍ لأنْ أراكِ في ثوبِكِ الأبيضِ البهيِّ، ذاكَ الثّوبُ سيزيدُكِ جمالاً وحُسناً، وبذلكَ اليومِ سأسعى جاهداً لأنصّبَكِ ملكةً على ذاتي، سأجمعُ حشودَ المشاعرِ لأعلنَكِ أمامَ الجميعِ أميرةَ الهوى، وأمّا الناسُ فإنَّهم سيشهدونَ حفلَ زفافٍ يُبهرُ القلوبُ، ويُسحرُ الألبابَ فهو عرسٌ للحبِّ وتتراقصُ البسماتُ في الأجواءِ مُعلنةً عن ارتباطٍ أكثرَ قداسةٍ من أن يدوّنَ على ورقٍ، ذلك أنَّهُ حفلُ زفافِ أحدِ أكثرِ ابنَي آدمَ شغفاً ببعضٍ، ولتشهدَ الأيامُ على حقيقةِ حبّنا الخالدِ الذي راحَ يُصدرُ فصولَ ملحمةِ العشقِ من جديدٍ، متجاوزاً كلَّ قصصِ الغرامِ التي وُصِفَتْ بالأزليّةِ ذلك أن سيرةَ حبِّنا بتولٌ، ولم يعبثْ بنقائِها القدرُ.

روحي

إن قلتُ لكِ أنّي أحبّكِ جسداً أكونُ مخطئاً، وإن خصَصْتُ حبّي لروحِكِ أكونُ قد ما أصبتُ عينَ الصوابِ، ذلك أنّي أحبُّ كلَّ خليةٍ بروحِكِ، وكلَّ ذرّةٍ بجسدِكِ ولن أبالغَ إذا قلْتُ بأنّي أعشقُ الهواءَ الذي يسري بأعماقِ صدرِكِ لأنّهُ في نهايةِ الأمرِ سيصبحُ جزءاً منكِ حبيبتي.

أتعلمينَ يا بتولُ؟! أشعرُ وأنا أكتبُ هذه الحروفَ أنّكِ أضحيْتِ جزءاً من كياني وذاتي وعبثاً بحثْتُ في داخلي عن نقطةٍ لا يوجدُ لكِ فيها أثرٌ، وتلاشى سُدًى جهدي وحيثُما محّصْتُ، أجدُ ذاتَكِ تأوي إليّ من عادياتِ الزمنِ، ومن رياحِ الأيامِ، وأنتِ في أصلِ الحكايةِ زهرةُ الشمسِ التي تضيءُ ظُلمتي، ولا أريدُ أن يخبوَ ألقُ هذا النورِ، فأحنوَ عليكِ بشغافِ القلبِ وأضمّكِ بحنايا الروحِ، ويحلو البوحُ برفقتِكِ يا زهرتي المنيرةَ، وبضيائِكِ يفوحُ الشذى ويُزفُّ الندى لثغرِ الوردِ، وأتوّجُ نفسي حارساً أميناً لصدى روحِكِ، وهمسِ بوحِكِ وكفاني عاشقاً تائهاً في جنانِ الغرامِ، وفي واحاتِ الهيامِ ذلكَ أنّي مُولعٌ بأرقِّ الفتياتِ حُسناً وأجملِ السيداتِ حضوراً ولن تسعفَني المعاني ولا الكلماتُ في سردِ تفاصيلِكِ الملائكيةِ، يا حبيبتي الأزليةِ ولن يسعَني الوقتُ لأحدّثكِ عن عِظمِ حبّي لكِ، ولن يكفيَني عمرٌ واحدٌ، بل أحتاجُ لأعمارٍ كثيرةٍ تطولُ وتطولُ، وأختمُ بأنَّ حبّكِ حلَّ مكانَ النجيعِ بجسدي، وهو أكسيرُ الحياةِ بروحي.

بتولي

ابقي بجانبي كي تستمرَّ الحياةُ بالدّفقِ داخلي وبكِ ولأجلكِ أحيا، وأحبّكِ وأحبّكِ وأحبّكِ وأحبّكِ إلى ما بعدِ بعدِ القيامةِ.

5/11/2013

بِاسمِ بشائرِ الفرحِ أكتبُ هذا النّصَّ ويطيرُ الأملُ على جناحِ الشّوقِ مُستقبِلاً المُستقبلَ وتعبَقُ الأمانيُّ في الآتي من الزّمنِ لمَا لا وقد اقتربَ كثيراً موعدُ زواجِنا.

حبّي الماسي

لو أنَّ للسّحبِ سطوراً لجعلْتُ قلمي يسيرُ عليها، ولو أنَّ للبحرِ أوراقٌ لأفرغْتُ عليها فيضَ قلبي من هولِ السّرورِ الّذي نثرَ البؤسَ وجعلَهُ رفيقاً لريحِ الأيامِ الغاديةِ، وأبدأُ من حيثُ انتهيْتُ في آخرِ نبضٍ لكِ حيثُ ختمْتُ بقولي أحبّكِ وسأكملُ، ولذا يتوجّبُ عليَّ الاستعانةَ بلغاتٍ جديدةٍ غيرَ هذهِ الّتي أوجدَها بنو البشرِ، وكذلكَ يتوجَّبُ عليَّ العثورُ على حروفٍ أخرى، وما لي سبيلٌ سوى أن أستبدلَ بحروفي حديثَ الرّوحِ الذي ينيرُ القلبَ والعقلَ والقلمَ.

ها أنا ذا أزيّنُ فؤادي بأرقِّ الزّهورِ وأنشرُ على حائطِهِ عباراتِ السّرورِ، وذلك لأجلِ استقبالِ اليومِ الّذي سيضمُّنا به بيتٌ واحدٌ، ولن أنسى أيضاً أن أنثرَ العطورَ بكافّةِ أيّامي القادمةِ فالآتي حدثٌ بهيٌّ يفورُ الألقُ من حناياهُ، ويفيضُ الفرحُ من تفاصيلِهِ، هو يومٌ تهفو الرّوحُ لمجيئِهِ لم لا وبه سأنصّبُكِ عروساً للعشقِ والهوى، وفيما بعدُ سنتشاركُ طعاماً واحداً وشراباً واحداً سيلُفُّنا مقعدٌ واحدٌ وسريرٌ واحدٌ، سأغفو على صدركِ وتنامينَ في أحضاني ويغمرُنا الحبُّ بأحلى صورِهِ، فأشعرُ بالضّياعِ لحظةَ فراقي لكِ وتشعرينَ بالحزنِ ساعةَ مغادرتِكِ لي.

مُستقبلُنا معاً ممتعٌ لذيذٌ ذلكَ أنَّ الغيابَ سيكون مُحدّداً ومحصوراً، أمّا باقي الأوقاتِ فإنّا سنكونُ كعَينٍ وهدبِها لا نفترقُ إلا لنلتقي ونلقي عن كاهلِنا عجاجُ السّنينَ حين يزورُ طيرُ الفرحِ أروقةَ قلبَينا وتعمُّ المسرّاتُ كلَّ الثّواني واللّحظاتِ والبرهاتِ، ويضيقُ الدّهرُ بالسّعادةِ الّتي سنحياها في الآتي من أيّامِ الشّهورِ، نعم دنا كثيراً موعدُ زفافِنا وبه سألوّنُ الفراشاتِ بلونِ حبّنا الزّاهي، وأهبُ العصافيرَ شدواً أحلى من شدوها، هذا اللّحنُ يا حبيبتي هو بوحُ قلبَينا بلحظاتِ الدّجى وساعات الغسقِ، لكن ما أرقّهُ من بوحٍ تذوبُ به الشّغافُ ويندى منهُ الشّغفُ، وأيضاً تتوهُ بجلالِهِ المعاني وتُقتبسُ منه أغاني الغرامِ والهيامِ، وتميسُ بمحرابِهِ كلماتُ الهوى، أليسَ بوحُ المتحابّين أنقى بوح؟

وكيفَ إذا كانَ الأمرُ متعلّقٌ بنا؟

أعجزُ عن الإجابةِ كما عجزَ كلُّ فلاسفةِ العطورِ والدّهورِ، فحبُّنا أشبهُ بمعجزةٍ حدثتْ ولمرةٍ واحدةٍ في لحظةٍ بها بسمَ القدرُ وابتسمَ القمرُ وسربَ الضّجرُ ورقصَ المطرُ وفاحَ بها العطرُ، عطرُ الجمالِ والحُسنِ.

عطرُ كلِّ الورودِ والأقاحي والأزهارِ.

عطرُ الجنانِ والريحانِ.

إنَّهُ ريحُ حبِّنا يا زهرةَ القلبِ الخالدةِ، وإذ ذاك ترقصُ الأوردةُ فرحاً وتطرَبُ العروقُ نشوةً ويميسُ الدّمُ بداخلي ذلكَ أنّي زرعْتُ في قلبي بذاتِ ليلةٍ زهرةً أسميتُها الحبَّ، أسميتُها بتول.

9/11/2013

حبيبتي ها أنتِ ذي تدخلين القلبَ من أوسعِ أبوابِهِ وأتوّجُكِ ملكةً على عرشِ العواطفِ والأحاسيسِ، فأنتِ التي أسلمْتُها الروحَ بكافةِ خباياها، ووهبْتُها بعد ذلك كافةَ أسبابِ قوّتي، وأطلعْتُها على نقاطِ ضعفي ذلك أنّي ملّكتُكِ ذاتي وإذ القُبُلُ تأتي عواصفاً ورياحاً عاتيةً، وفي مرّاتٍ كثيرةٍ يحدثُ أن يزورَنا إعصارٌ هائل من قُبُلاتٍ حارةٍ تختزلُ عميقَ حبٍّ راحَ يكبرُ ألفَ مرّةٍ في كلِّ لحظةٍ، ويجيءُ العناقُ حائراً لا يدري كيف يأخذُ نصيبَهُ من هولِ الحبِّ الذي جمعَ قلبَينا فيحاولُ أن يتسلّلَ من قُبلةٍ وأخرى دونَ أن ينجحَ، ويعاودُ الكرّةَ حينَ يُمرِّرُ ذاتَهُ بينَ دقائقِ اللّحظاتِ وينجحُ فأضمُّكِ بقلبي يا حبيبتي قبلَ أن تلفَّكِ ذراعَي ويغمرَكِ دفقُ هيامي قبلَ أن تفيضَ عليكِ قُبلي من كُلِّ حدبٍ وصوبٍ، ونتحابَ سوياً في ثانيةٍ شهراً، وتغدو أيامُنا ساحاتٍ للحبِّ واللّثمِ والعناقِ.

لكلِّ يومٍ غروبٌ أمّا أيّامُ حبّنا فلا تعرفُ الغروبَ ولا يوجدُ سبيلٌ للأفولِ إليها لأنَّ لحظةَ تلاقي قلبَينا بها انكسفَتِ الشّمسُ وانخسفَ القمرُ، وغابتْ كلُّ النّجومِ وبقي عشقُنا مركزَ الضياءِ للكونِ بأسرِهِ.

فرحُ أحزاني

ناموسُ السنينَ أن تتعاقبَ بها الفصولُ ومعكِ تغيّرتْ هذه السنّةُ فغدتْ كلُّ الأيامِ والشهورِ ربيعٌ نراهُ، وانجلى القرُّ وما بقيَ بيننا سوى الدفءُ والحنانُ والحبُّ والأمانُ، ويسودُ نهارُنا ليلٌ أزرقٌ تلوّنُهُ أحلامٌ تحلو بها الحياةُ وتفرُّ منها الأحزانُ إلى غيرِ رجعةٍ.

أنا وأنتِ يا حبيبتي دخلْنا عالماً سرمديّاً خالداً تعلو سماؤهُ الأحلامَ وتُمطرُ سحبَهُ بسماتٌ عذبةٌ تُفطرُ الفؤادُ عشقاً ورضًى، وكفى به مكانٌ للعيشِ ديدَنَهُ الحبُّ ولا شيءَ سواهُ وشريعتُهُ رغدٌ مقيمٌ ما دامتِ الأرضُ تدورُ حولَ ذاتِها، ونجعلُ في عالمِنا الخاصِّ ما شئِنا من عطورِ الزّمنِ وزهورِ الدّهرِ، ونمحو كلَّ عثراتِ الماضي لنزرعَ ذكرياتٍ للمستقبلِ والغدِ المُشرقِ.

في الزّمنِ الأوّلِ جمعَ آدمُ وحواءُ حبّاً لا عهدَ لهُما بهِ، ونحنُ الاثنانِ آخرُ قلبَينِ انضويا تحتَ لواءِ العشقِ، ورُفِعَتْ سجلاتُ الهوى إلى قبّةِ سماءٍ دانيةٍ نجومُها لعظمِ الهيامِ، ذلكَ أنَّ السّماءَ كالعيونِ تميسُ من شدّةِ هولِ الغرامِ، وأنتِ يا أنثاي الماسيةُ كلّ المُرادِ وجُلّ المرامِ أنتِ حبيبتي وحبيبتي وحبيبتي إلى ما لا نهايةَ.

20/11/2013